بصائر

في زمن الفتنة

تأملات .. في فضاء الأحداث...

تقديم معالي الشيخ الدكتور

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

بقلم

د . خالد بن سعد بن فهد الخشلان

عضو هيئة التدريس في كلية الشريعة في الرياض

وأمين الجمعية الفقهية السعودية

كنوز إشبيليا

للنشر والتوزيع

بصائر

في زمن الفتنة

تأملات .. في فضاء الأحداث...

تقديم معالي الشيخ الدكتور

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

بقلم

د . خالد بن سعد بن فهد الخشلان

عضو هيئة التدريس في كلية الشريعة في الرياض
وأمين الجمعية الفقهية السعودية

كنوز إشبيليا
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

بصائر

في زمن الفتنة

تأملات .. في فضاء الأحداث...

ⓗ دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٢٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الخشلان، خالد بن سعد،
بصائر في زمن الفتنة/خالد بن سعد الخشلان
الرياض؛ ١٤٢٩هـ
ص١١١؛ ١٧×٢٤ سم
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٠٠١-١٨-٩
١- الوعظ والإرشاد أ ـ العنوان
ديوي ٢١٣ ١٤٢٩/٢٥٠٠

رقم الإيداع: ١٤٢٩/٢٥٠٠
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٠٠١-١٨-٩

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م

دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨ـ ٤٧٧٣٩٥٩ ـ ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

E-mail: eshbelia@hotmail.com

تقديم

الحمد لله، و بعد:

فقد تصفحت هذه الرسالة المسماة: **(بصائر في زمن الفتنة)** للشيخ الدكتور/ خالد بن سعد بن فهد الخشلان، فوجدتها رسالة قيمة، تتضمن النصح للمسلمين في الخروج من هذه الفتن، التي تمر بها الأمة بتخطيط من أعدائها وتنفيذ من بعض أبنائها إلى شاطئ السلامة، وذلك بالالتزام والاعتصام بكتاب الله، وسنة رسوله، ولزوم جماعة المسلمين وإمامهم، والرجوع فيما أشكل إلى العلماء الربانيين الراسخين في العلم، والحذر من الدعايات، والدعوات، والأفكار الوافدة المغرضة.

جزى الله الشيخ خالداً على ما أبدى، ونصح، ونفع بعلمه وقلمه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء

في ١٤٢٨/١٢/٢٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله / وبعد: فقد تصفحت هذه الرسالة المسماة: (بصائر في زمن الفتنة) للشيخ الدكتور: خالد بن سعد بن فهد الخشلان فوجدتها رسالة قيمة تتضمن النصح للمسلمين في الخروج من هذه الفتن التي تمر بها الأمة بتخطيط من أعدائها وتنفيذ من بعض أبنائها إلى شاطئ السلامة وذلك بالالتزام والاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله ولزوم جماعة المسلمين وإمامهم والرجوع فيما أشكل إلى العلماء الربانيين الراسخين في العلم والحذر من الدعايات والدعوات والأفكار الوافدة المغرضة جزى الله الشيخ خالدا على ما أبدى ونصح ونفع بعلمه وعمله وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء

[توقيع]

في ٢٤/١٢/١٤٢٨هـ

المقـــدمة

الحمد لله، والصلاة، والسلام على رسول الله، وعلى آله، وصحبه، ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

فإن مما جاءت به شريعة الإسلام الخالدة، وحضت عليه: **محض النصح** لكل مسلم، ومسلمة، بل جعلت هذه المهمة الدين كله، فقال ﷺ فيما رواه مسلمٌ، وأبوداود واللفظ له، من حديث تميم بن أوس الداري ﷺ: **(إن الدين النصيحة إن الدين النصيحة إن الدين النصيحة)**، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: **(لله وكتابه ورسوله وأئمة المؤمنين وعامتهم، وأئمة المسلمين وعامتهم)**[1].

ولشرف هذا الواجب، وأهميته، كان من جملة ما يبايع عليه النبي ﷺ أصحابه، ولا عجب في ذلك، فالنصيحة بداية الدلالة على الحق، ودعامة الثبات عليه، وأمارة حياة المجتمع ويقظته، وسر عافيته، فمتى ارتفعت راية النصيحة في المجتمع، وتفاعل الجميع معها، توالت الخيرات، والبركات، واستقامت الأحوال، وصلحت الأوضاع، واضمحلت الشرور، وتلاشت المفاسد.

أما إذا اختفت النصيحة من حياة المسلمين، وفقد الناصحون أو كادوا، فلا تسل حينئذ عن حجم الكارثة، وهول المصيبة التي تحل بساحة المسلمين، ولعل في حديث السفينة أدق تصوير، وأبلغه لهذه الحقيقة، حيث يقول ﷺ فيما رواه

---

(١) صحيح مسلم (٥٥)، وسنن أبي داود (٤٩٤٤).

البخاري من حديث النعمان بن بشير ﷺ: **(مثل القائم على حدود الله، والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فكان بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا، ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا، هلكوا وهلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم، نجوا ونجوا جميعاً)**[1].

أخي المبارك: لعلك توافقني القول إن فتناً عظيمة أطلت بقرونها على المجتمع، التبس معها الحق بالباطل عند فئام من الناس، ووجد فيها المنافقون بغيتهم في بث سمومهم، ونشر باطلهم، وكان من أشدها، وأخطرها على المجتمع: فتنة الغلو في الأفكار، والتصورات، والمواقف، والآراء، وما نشأ عن ذلك من أفعال وتصرفات، أزهقت معها أرواح، وأفسدت بها ممتلكات، وإنه لن ينجي من هذه الفتن، ويعصم منها بعد الاستمساك بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، إلا إحياء فقه النصيحة، وتعميقها في حياة المسلمين.

النصيحة التي يكون باعثها: محبة الخلق، وإرادة النفع لهم، كما هو مقتضى قوله ﷺ: **(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)**[2].

النصيحة التي يكون هدفها: رضى الله عز وجل، والأخذ بأيدي الآخرين إلى سبيل الهدى والرشاد، شعارها في ذلك: «**الهداية لا النكاية**» و«**الدلالة على الصواب لا الشماتة بالخطأ**».

---

(١) البخاري (٢٤٩٣).

(٢) رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥)، من حديث أنس ﷺ.

النصيحة التي تجمع في أسلوبها بين قوة الحجة والبرهان، ووضوح الرأي من جهة، وبين الرفق واللطف في التعامل مع المخطئ من جهة أخرى.

فدونك أخي الحبيب: (**بصائر في زمن الفتنة**) لعلك تجد فيها ما يسهم في إنارة الطريق لك، ويبدد الظلمات أمامك.

حاولت أن أقدم فيها ما أحسب أنه مفيد، وفي الساحة من هذا كثير بحمد الله، من أهل علم وفضل، ولكني حرصت - في هذه البصائر - على طرق بعض الموضوعات التي أحسب أنها ما تزال بحاجة إلى مزيد من الكشف والإيضاح، فإن حالفني في هذه المعالجة التوفيق فذاك محض فضل الله وتوفيقه، وإلا يكن الأمر كذلك فقد بذلت جهدي، واستفرغت وسعي، ولعل فيما أرجوه من حسن النية - إن شاء الله - ما يشفع لصاحبها عند ربه، ومناي من هذا كله أن يجد من يرد الله هدايته - في هذه البصائر - ما يعينه على ذلك، ثم دعوة في ظهر الغيب من أخ لأخيه.

ولعلك أيها القارئ واجدٌ في أسلوب هذه البصائر شيئاً من القسوة في العبارة، أو الحدة في الأسلوب، فغض الطرف عنه فما أردت به - والله وحده يشهد - إلا أن يكون معينا على المسارعة إلى تلافي الخلل، وتدارك الشطط.

فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً فليقسُ أحياناً على من يرحم

فخذ ما صفا ودع ما كدر، ورحم الله أخاً نبه على خطأ، وسعى في إصلاح خلل، وأرشد إلى إكمال نقص.

وإني - أخيراً - لشاكر للمشايخ الفضلاء، وطلبة العلم الذين عرضت عليهم هذه الرسالة، فأتحفوني بنقدهم وملحوظاتهم، وأخص منهم صاحب المعالي الشيخ الفقيه/ **صالح بن فوزان الفوزان**، الذي اطلع على هذه الرسالة، وقدم لها فشكر الله له، وأعلى قدره.

وفقني الله وإياك - أخي القارئ - لكل خير، وشرح صدورنا لسماع الحق وقبوله، ورزقنا الثبات عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين...

د. خالد بن سعد الخشلان

AL-khashlan@hotmail.com

بصائر

إلى شباب الأمة


تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

الشباب محور القضية

لعل من نافلة الحديث: القول إن الشباب في كل أمة، ومجتمع، هو محط الأنظار، ومعقد الآمال، فما من أمة من أمم الأرض، إلا وهي تعلق الآمال بشبابها، بأن يكونوا بناة مجدها، وباعثي نهضتها، ومن ثم فلا عجب أن يكون الشباب في كل زمن محل التأثر، والتأثير، ومحور التغيير، ورواده، وذلك لما تمتاز به مرحلة الشباب من نشاط وقوة، وحماسة ملتهبة، وعاطفة متدفقة، وحب للمخاطرة، واكتشاف المجهول، وقابلية لسماع أي جديد والتأثر به، والاستعداد للتخلي من أجله عن الماضي، والخروج عن كل مألوف، وما الأحداث التي مرت، وتمر بها بلادنا، وغيرها من بلدان العالم، من أحداث الغلو، وما صاحبها من تداعيات، إلا شاهد حيٌّ على ذلك.

ولهذا فإن مرحلة الشباب من أخطر مراحل العمر، حتى إن العبد يوم القيامة ليسأل عن عمره كله فيم أفناه، وتخص مرحلة الشباب بسؤال آخر، **(وعن شبابه فيم أبلاه)**[1].

وإذا كان الأمر كذلك فإن الأمة وهي تدرك هذه الحقائق، مطالبة بولاتها، وعلمائها، ودعاتها، وأهل الرأي والمشورة فيها، ومؤسساتها التعليمية، والدعوية، والإعلامية، والثقافية، والاجتماعية، بالعناية بهذه الفئة المهمة من فئات المجتمع،

(١) رواه الترمذي (٢٤١٦)، وصححه الألباني بمجموع طرقه، السلسلة الصحيحة ٢/٦٦٦ [٩٤٦].

وبذل قصارى الجهد، ومختلف الإمكانات المادية، والمعنوية، من أجل تربية الشباب وتثقيفه، وإعداده الإعداد السليم، الذي يرسخ العقيدة الصحيحة، ويعمق الإيمان لديه، ويكسبه القيم السامية، والمعارف، والمهارات المتعددة، والعمل على تحصينه من التيارات والأفكار المنحرفة، والأهواء المردية، هذه التربية التي تعنى بالروح والقلب، والعقل والنفس، قبل العناية بأي شيء آخر، إذ ما الفائدة الحقيقية، من الإنسان مهما ملك من مهارات وقدرات، إذا خلا من قلب يعمره الإيمان، وعقل ينطلق من تصور إسلامي في النظر إلى ما حوله، وتقويمه.

إن الأمم إذا كانت تنجح في حسن استثمارها لمواردها المادية، فإن نجاحها الحقيقي يكون يوم تحسن الاستثمار في مجال شبابها، ومن ثم فإن حجم الخسارة لا يمكن وصفه، بل ويصعب تداركه، يوم تفرط الأمة بمجموعها في تربية شبابها؛ لأنها حينئذٍ تفرط في أعظم ثروة تملكها، ولا يمكن بحالٍ تعويضها.

نداء إلى الشباب

وأما أنتم أيها الشباب فأنتم أمل الأمة، وغدها المشرق، واجبكم:

أن تُقْبِلُوا على أنفسكم فتعتنوا بإصلاحها، وتزكيتها بالإيمان والعمل الصالح، والحرص على العلم النافع المستمد من الوحيين المعصومين: كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والعناية الأكيدة بما عليه السلف الصالح في الاعتقاد، والعمل، والمنهج.

وأن تعتنوا بأخلاقكم، فتجتهدوا في تهذيبها، وتقويمها.

وأن تستثمروا عقولكم في اكتساب العلوم، والمعارف النافعة، بما يعود عليكم، وعلى مجتمعكم، وبلدكم، وأمتكم بالخير والنفع العميم.

إن مما يزين الشاب، ويعلي من مكانته وقدره، بعد تأهيله لنفسه، وبناء شخصيته الإسلامية من جوانبها المختلفة: إدراكه لرسالته في الحياة، وتفاعله مع قضايا أمته ومجتمعه، فأعيذك بالله أخي الشاب من أن تكون شاباً عابثاً لاهياً، تمضي عليك أيام حياتك، ومرحلة نشاطك، واكتمال قوتك، دون أن تستثمرها في عمارة آخرتك، ورضا خالقك، وتحقيق الخير لك، ولبلدك وأمتك.

تذكر بشارة النبي ﷺ لكل شاب نشأ في طاعة الله، بأن يكون ممن يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله، وهيء نفسك لتكون من جملتهم، وما أعظمها من غاية يسعى لها الساعون، ويعمل لها العاملون.

إن أمامك ميادين للعمل المثمر فسيحة، ومجالات للإسهام في الإصلاح عديدة، وبرامج ومناشط في الدعوة كثيرة، فاكتشف ما حباك الله به من موهبة، وسخرها لخدمة دينك، ووطنك.

وفي العمل في النور ما يغني عن العمل في الظلام، وفي سلوك الطرق السليمة، والوسائل الشرعية، والمسالك الواضحة غنية عن الطرق الملتوية، والوسائل المشبوهة، والمسالك الغامضة، التي تكون عاقبتها خساراً وبواراً، وهلاكاً، ودماراً على الفرد نفسه قبل الآخرين.

توجيه العاطفة والحماسة نحو العمار لا الدمار

إنك أخي الشاب تغبط على عاطفتك الجياشة، وحماستك المتقدة، وغيرتك على حرمات الله، وحرقتك على أوضاع المسلمين، فإنها أمارة على حياة قلبك، وحبك لإسلامك، واهتمامك بإخوانك المسلمين، فاشكر الله - عز وجل - على هذه النعمة، ووظفها التوظيف الأمثل في بذل كل جهد رشيد، وعمل صالح في الدعوة إلى الله، والسعي بالإصلاح، ونشر الخير، والهدى، والمعروف، والتعريف بقضايا المسلمين، والعمل مع المؤسسات الرسمية، والهيئات الخيرية، من خلال ما تتقنه من مهارة، أو عمل، أو نشاط قولي، أو كتابي، أو عملي، وقبل ذلك، وبعده، وفي أثنائه، السعي لصناعة مستقبل لك، تَعْمُرُ به حياتك، وآخرتك، وتُسْعِدُ به نفسك، وأهلك، وجميع من حولك، ملتزماً في ذلك كله البعد عن مسالك الغلو، والجفاء، والإفراط، والتفريط، ومسارات الشطط، والانحراف.

لا تكن عاطفتك، وحماستك مطمعاً لأهل الغلو في أن ينفذوا إليك بأفكارهم، وآرائهم المنحرفة، ومن ثم اتخاذك وسيلة لتنفيذ مآربهم، وتحقيق مقاصدهم، فإنك يوم القيامة ستسأل عن عملك أنت وحدك، وتحاسب على تصرفاتك أنت وحدك ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨] ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ

ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٣- ١٥]، ولن يغني عنك الآخرون يومئذ من الله شيئا ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ١٦٦-١٦٧].

إنه لا مُوَجِّهَ للعاطفة ولا ضابط للغيرة، ولا مُرَشِّد للحماسة أحسن من العلم النافع، المستمد من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، والمتلقى على أيدي العلماء الثقاة، وطلبة العلم المعروفين بحسن منهجهم، وسلامة مسلكهم، فبادر حياتك - أخي المبارك - واغتنم شبابك، بتعلم العلم النافع: حفظاً للقرآن الكريم، وتدبراً لمعانيه، ومطالعةً لسنة النبي ﷺ، حفظاً لها، ودراية لمقاصدها، وفقهاً لأحكامها وتوجيهاتها، واستعن على فهم ذلك كله بربك عز وجل، ثم بكلام أهل العلم المعتبرين قديماً وحديثاً؛ ليحصل لك الرشد في المنهج، والسلامة في الوسيلة.

استثمر أوقات فراغك في اكتساب المزيد من المعارف النافعة، والمهارات المفيدة، التي تنمي بها شخصيتك، وتسد بها جوانب النقص لديك، وتؤهلك لخوض مجالات الحياة المختلفة.

زادك الله نوراً وبصيرة، وحفظني وإياك من مضلات الفتن، وجعلك مباركا أينما كنت.

الجهاد ومقاصده العظيمة

أخي الشاب: إن الجهاد في سبيل الله - عز وجل - فريضة شرعية، بل هو ذروة سنام الإسلام، كما صح بذلك الحديث عن النبي ﷺ[١]، ولا يمكن لأي قوة على وجه الأرض أن تلغي هذه الفريضة، أو تبطل هذه الشعيرة، بل هي فريضة ماضية إلى قيام الساعة، لكنَّ هذه الفريضة - شأنها شأن سائر أحكام الشريعة العملية- منوطة بالقدرة والاستطاعة، خاضعة لضوابط وشروط، قررها أهل العلم قديما وحديثاً، ولا يمكن أن تتحول هذه الفريضة العظيمة إلى أعمال تتنافى ومقاصدها النبيلة، وغاياتها الجليلة، لا يمكن أن تتحول هذه الفريضة إلى حركات استعراضية، وأعمال عاطفية حماسية، غير مدروسة، تُعَرِّضُ أمن البلاد وسلامتها ومصالحها على المستوى الداخلي، والخارجي للخطر، وقبل ذلك وبعده تهدد مسيرة الدعوة الإسلامية وتعيق حركتها.

معاذ الله أن يكون ترويع الآمنين، وإزهاق أرواح المعصومين، من المسلمين، والمستأمنين، والمعاهدين، وقتل النساء والأطفال، والاعتداء على الأموال المحترمة، وتدمير الممتلكات والمرافق العامة، معاذ الله أن يكون ذلك كله أو بعضه جهاداً في سبيل الله، تعلى به كلمة الدين، وتحمى به شريعة رب العالمين، بل هو ضرب من ضروب الإفساد في الأرض، والله سبحانه: ﴿لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١].

---

(١) من حديث معاذ رضي الله عنه عند الترمذي (٢٦١٦) وغيره.

إن من أعظم غايات الجهاد في سبيل الله: نشر الدعوة الإسلامية، وهداية الضالين، ولا شك أن من أعظم وسائل تحقيق هذه الغاية - والتي أثبتت جدواها وفاعليتها في هذا الزمن، الذي يعيش فيه المسلمون أوضاعاً استثنائية - الأساليب، والوسائل السلمية من برامج، وكتب، ونشرات، ومحاضرات، وندوات، وحوارات، ولقاءات، وما يصاحب ذلك من أنشطة تربوية، وتعليمية، واجتماعية، وإغاثية، سواء كان ذلك على مستوى العمل الفردي أم الجماعي، هذه البرامج والمشاريع التي حققت من المكاسب الدعوية - في هذا العصر - ما لا يمكن لعاقل أن يجحدها.

إن من الواجب مضاعفة الجهد في هذه الأساليب، والمحافظة على استمرارها، وتطويرها حتى تتحقق النتائج المرجوة منها في نشر هذا الدين، التي أخبر عنها النبي ﷺ بقوله: **(ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر، ولا وبر، إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز، أو بذل بذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر)**(١).

الجهاد بين الطلب والدفع

إن الجهاد حق مشروع لكل أمة، ومجتمع، في الدفاع عن نفسه، والذود عن بلده، وأهل كل بلد هم أدرى بأقوم الطرق التي تحقق مقاصدهم، وأنجع الوسائل التي من خلالها ينصرون قضيتهم، ويصلون إلى أهدافهم، وذلك بعد الرجوع إلى علمائهم، وأهل الرشد والحل فيهم، ومتى تدخل في تقرير ذلك

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٦٩٥٧).

من لا علم له بالبلد وأهله فإن ما ينشأ عن ذلك من مفاسد قد يفوق المصالح المتوقعة من ذلك.

أخي الشاب، ليست الحماسة وحدها ولا حب الشهادة في سبيل الله بمسوغ لك في أن تقرر بنفسك الذهاب إلى أماكن الصراعات وساحات القتال، دونما رجوع إلى أهل العلم المعتبرين، وأهل الرشد والمعرفة الذين لا يقتصر نظرهم على فقه الحال والآن؛ وإنما ينظرون في تقرير مواقفهم إلى مآلات الأمور، وعواقبها، بل لا بد مع ذلك كله من مراعاة لأنظمة بلدك، المبنية على جلب المصالح، ودرء المفاسد، ونظر عميق في الواقع المعاصر وتداعياته وملابساته.

إن الموت في سبيل الله من أغلى أماني كل مسلم، والنبي ﷺ يقول: **(من لم يغز، ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق)**[1]، ولكن متى يكون ذلك؟ يوم يكون الموت من أجل نصرة الدين، وإعزازه.

وأما الذهاب إلى ساحات القتال طلباً للموت؛ للخروج من متاعب الدنيا والسآمة منها، والخلاص من القلق والمشكلات التي قد تعترض المرء، فليس هذا كله بجهاد في سبيل الله، وليس الخروج من أجل ذلك أمراً مشروعاً يثاب عليه، بل هو أمر محرم يعرض الشاب فيه نفسه للإثم والعقوبة، وقد يكون ضرباً من ضروب الانتحار والعياذ بالله، والله وحده المطلع على السرائر[2].

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في الإمارة (٣٥٣٣)، والنسائي في الجهاد (٣٠٤٦).

(٢) انظر: الشرح الممتع (١٤/ ٦١).

لقد منع المسلمون في العهد المكي من القتال، وأمروا بالكف عنه، مراعاة لضعفهم، وقلة استطاعتهم؛ بحيث لا يترتب على القتال لو باشروه حال ضعفهم إلا إزهاق أرواحهم، واستئصال شأفتهم، ولا شك أن كل من ينظر إلى واقع المسلمين اليوم بعقل، وموضوعية، وبعدٍ عن العاطفة، يدرك يقيناً مدى الضعف الذي يعيشه المسلمون، وتأثير ذلك على حكم الجهاد في هذه الحال، فكما كان ابتداء الجهاد في أول الإسلام ممنوعاً منه للوصف المذكور الذي كان عليه المسلمون، فكذلك يكون حكم ابتدائه في هذا الزمان مراعاة للحال التي عليها المسلمون اليوم.

وهذا الذي عليه جماعة من المحققين من أن المنع من ابتداء الجهاد باق حكمه، في كل حال تشبه حال المسلمين زمن النبي ﷺ أول الإسلام، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، هذا هو حكم جهاد الطلب في الإسلام بعيداً عن العاطفة، والتهور، والارتجال، والتسرع.

وأما جهاد الدفع فالأصل فيه أن المطالب به من وقع عليهم العدوان، ويشاركهم إخوانهم المسلمون في كل مكان، بالدعاء، والنصح، والإغاثة، والدعم المادي والمعنوي، ونصرة قضيتهم في المحافل والمجامع، وأما مشاركتهم في الجهاد، فيتوقف على عدم قدرتهم على الدفع من جهة، وعلى ما يترتب على المشاركة معهم من مصالح ومفاسد، والموازنة بينهما، من جهة أخرى، وهذه أمور ليس بمقدور كل أحد التحقق منها، وإنما مرد ذلك إلى أهل العلم، والحل والعقد، في كل مجتمع، وبخاصة في مثل هذا الزمن، الذي تداخلت فيه المصالح، وتعقدت فيه الأمور، مما يستدعي اجتهاداً دقيقاً في المسألة، يقي بمشيئة

الله عز وجل من الوقوع في المحظور، وارتكاب المفاسد، وهو اجتهاد لا يقوم به إلا العلماء الراسخون، ومن الخطأ البين أن يتقحم هذا الأمر آحاد طلاب العلم، فضلاً عمن لا علم عنده، من العوام، وأشباه العوام، الذين تحركهم العواطف، وتسيرهم الحماسة.

إن كل من قوي في قلبه تعظيم دين الله، واستحضر خطورة الفتوى – لأنها توقيع عن رب العالمين – أدرك خطورة الأمر، وأحجم عن الإقدام عن الفتوى، والجرأة عليها، وبخاصة إذا كانت الفتوى في موضوع له تعلق بمصالح الأمة، وقضاياها الكبرى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

بصائر
للمتلبسين بالأهواء


تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

إيقاظ

إن مما يقلق كل مسلم، ويبعث الأسى، والحزن في قلبه، ما نشهده في بلادنا المباركة - وبعض بلاد المسلمين - من أحداث الغلو، والعنف، والتفجير، وما صاحبها من المسارعة في التكفير، والولوغ في الدماء المعصومة، من قبل من طاشت عقولهم، وخفَّت أحلامهم، تلك الفتنة التي أقضت المضاجع، وتكدرت لها النفوس، وضاقت بها الصدور.

ومما يزيد الحيرة، ويبعث على الاستغراب، ما يكشف عنه مابين فترة وأخرى من الوقوف على بعض المجموعات، ممن يحملون هذا الفكر الغالي، وينهجون المنهج المنحرف، ممن ينتسبون لتلك الفئة، وتعاهدهم، وتعاقدهم على بذل المزيد من الجهد، من أجل ماذا؟ من أجل أعمال يزعمونها جهاداً، ونصرة للإسلام، ولكنها في حقيقة الأمر:

* خروج على جماعة المسلمين.

* وشق لعصا الطاعة.

* ونشر للفوضى والفرقة.

* وزعزعة للأمن.

* وضرب لمقدرات الأمة واقتصادها.

* وجميع ذلك مما يفرح به الأعداء - على مختلف اتجاهاتهم، ومذاهبهم- لهذه البلاد المباركة — المملكة العربية السعودية - التي تعلي راية الإسلام، وترفع شعار التوحيد، والسنة.

يحصل هذا الإفساد كله بين مسلمين يشهدون لله بالوحدانية، ولنبيه بالرسالة، ويدينون بدين الإسلام، ويخضعون لشريعة الرحمن.

إن هذا كله مثل صارخ لما تثمره البدع، والأهواء المردية، والمناهج المنحرفة، وتحمل صاحبها عليه من انحراف، وبعد عن الصراط المستقيم .

وكم يتضاعف الحزن والأسى لحال هذه الفئة ومن ينتمي لها حينما يُرى من أفرادها الإصرارُ على الخطأ، والاستمرار على الانحراف، مع ما يعلم من تقديم النصح لهم، وتوالي النقد لمسلكهم، وبيان فساده وانحرافه، ومع ما يُشاهد ويُرى، ويقر به كل عاقل ومنصف، من الآثار السيئة، والنتائج المدمرة، والعواقب الوخيمة الناتجة عن ذلك المسلك - مسلك الفساد والانحراف، والابتعاد عن سبيل المؤمنين ونهج الصالحين - مع أن الشرع والعقل الصحيح يقضيان بضرورة الاستفادة من نصح الناصحين، ونقد الناقدين، فكيف إذا كان أولئك الناصحون والناقدون من خيار الأمة، علماً، وعملاً، ودعوة، ونزاهة، وتجرداً، - فيما نحسبهم ولا نزكي على الله أحدا - ولكن صدق الله عزوجل إذ يقول لنبيه ﷺ : ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [فاطر: ٨].

إنها دعوة لاتهام الرأي، ونقد الذات، ومعرفة المرء قدره، والنظر بعين البصيرة لكل ما يقال، ويسمع، وعرضه على ميزان الشرع المطهر، والبعد عن الاعتداد بالنفس، والإعجاب بالرأي، مع سؤال الله - عز وجل - الهداية لما اختلف فيه من الحق بإذنه، إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

أثر حركات الغلو على الأمة

لقد عانى المسلمون - قديماً - عشرات السنين من الخوارج، وحركات التمرد، التي نصبت الخلاف للمسلمين، وحملت السلاح عليهم، فأشغلت دولة الإسلام عن القيام بواجبها لحمل هذا الدين، وتقديمه للعالم.

وهاهم غلاة اليوم وإن لم يشبهوا الخوارج من جميع الوجوه إلا أن هناك قواسم مشتركة تجمعهم مع الخوارج في أقبح مناهجهم، وسماتهم، فهم: خوارج بمسارعتهم في التكفير، خوارج بعدم مبالاتهم بالدماء والأموال، خوارج بنقض البيعة، والخروج على جماعة المسلمين، والجرأة - أحياناً - على قتل من يعارضهم، أو يقف في وجوههم، أو حتى من يخالفهم الرأي من كافة فئات المجتمع، ولو كانوا علماء ودعاة - كما حصل في بعض مجتمعات المسلمين المعاصرة في أفغانستان والجزائر وغيرهما -، كل ذلك بدعوى نصرة الدين، ومحاربة المشركين، وأشباهها من الدعاوى العريضة، وما أشد تهافتها من حجة، وأصرح بطلانها من دعوى، وأسرع سقوطها من ذريعة.

إننا لم نَرَ لهذا التيار والفكر المنحرف - وبخاصة أعماله في مجتمعات المسلمين - إلا بث مزيد من الفرقة بين المسلمين، وسفكاً للدماء، وإزهاقاً للأرواح، وزجاً

بشباب الإسلام في صراعات خاسرة مع حكوماتهم ومجتمعاتهم، بل وتشويهاً للإسلام، وتلطيخاً لصورته المشرقة عند الآخرين، ووصفه بأنه دين قسوة، وغلظة، لا يعرف سوى لغة الدماء، والأشلاء، وما نتج عن ذلك كله من مزيد ضغط، ومحاربة لأهل الإسلام من قبل أعدائهم.

بل ليس من المبالغة القول: إن هذه الأعمال التخريبية، والحوادث الإجرامية - في بلاد المسلمين - والمتمثلة في التفجيرات، والاغتيالات، أوجدت المناخ المناسب، والفرصة المواتية لأعداء الإسلام في التفكير بالتدخل في شؤون المسلمين، بدعوى محاربة الإرهاب، وحماية مصالحهم كما يزعمون.

إن هذه الأحداث الدامية التي تتبناها حركات الغلو في بلاد المسلمين، بددت قدرات المجتمعات الإسلامية ،وشغلتها في بعض الأحيان عن مشاريع البناء والإعمار، وعرَّضت كثيراً من الأعمال، والمشاريع الخيرية إلى مزيد من التضييق والخناق، وهذه الأمارات وغيرها دليل واضح على افتقاد هذه الحركات في تصرفاتها تلك، لأي معنىً من معاني الرشد والصلاح.

فبربكم أي خير جنته المجتمعات الإسلامية من هذه الأعمال المنحرفة؟.

أي تقدم ونماء حصل للمجتمعات الإسلامية من حوادث الإرهاب، وسفك الدماء المعصومة، وإزهاق الأرواح؟.

أي تقدم حققته الدعوة الإسلامية من جراء هذه الحركات الهوجاء، والأعمال الإجرامية، التي تسارع دونما خوف من الله إلى قتل الأبرياء، وبث الرعب والخوف في صفوف المجتمعات الإسلامية؟

هذه طائفة من المفاسد الكبيرة، والمخاطر العديدة، الناجمة عن أحداث العنف، والتي لا يملك العاقل أمامها إلا مزيد قناعة، وإدانة لهذه الأساليب المخالفة لمنهج الإسلام، ووسطيته، فهل يعي المتلبسون بهذه الأهواء هذه الحقائق، وهل يعودون إلى جادة الصواب، وسبيل الرشاد.

إننا في الوقت الذي لا نشك فيه لحظة من اللحظات في العداء الصارخ الذي يكنه أعداء الإسلام للمسلمين؛ لأنها عداوة أخبر بها الله - عز وجل -، وجعلها حلقة من حلقات الصراع بين الحق والباطل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فإننا في الوقت ذاته يزداد يقيننا يوماً بعد يوم بأن حركات الإرهاب، وجماعات الغلو، والتكفير، والعنف، تمهد الطريق لأعداء الإسلام، بل تُوظَّف أعمالُها وإجرامها - شاءت هذه الحركات والجماعات أم أبت - لمزيد من محاربة الإسلام، وتضييق الخناق على أهله، وتمكينٍ لأهل الأهواء من نشر باطلهم في مجتمعات المسلمين، وبين صفوف المؤمنين، بحجة محاربة الإرهاب.

هذا إن سلمت تلك الحركات من ارتباطات خفية - بوجه أو بآخر - بقوى تهدف إلى تحقيق مقاصد لها في بلاد المسلمين - وبخاصة هذه البلاد المباركة - عن طريق هذه الجماعات والحركات الغالية.

ذم الإفساد في الأرض

إن الإفساد في الأرض لم يكن يوماً من الأيام سبيلاً للإصلاح، ولا طريقاً للنجاح، والله - عز وجل - لا يصلح عمل المفسدين، وإذا لم يكن إزهاق الأرواح المعصومة، من مسلمين ومعاهدين، وتفريق الجماعة، وشق عصا

الطاعة، وزعزعة صف المسلمين، ونشر الخوف والرعب بينهم، وزعزعة الأمن في مجتمعاتهم، والتسبب في إدخال الضعف والوهن إليهم، إذا لم يكن ذلك كله هو الإفساد بعينه فما هو الإفساد؟.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقـرة : ١١-١٢]، ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ [البقرة : ٢٠٥]، ولهذا كانت عقوبة الساعين في الأرض فساداً من أشد أنواع العقوبات التي جاءت بها هذه الشريعة، ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة : ٣٣].

بل إن من أعظم صور الإفساد الناتجة عن تلك الأعمال، التي قد تخفى على كثير من الناس: أن تتحول تلك الأعمال التي تقوم بها تلك الفئة إلى فتنة تصد الناس عن الدين، وحالة تلتبس معها المفاهيم، وتختلط معها التصورات، حتى ليخيل للراغب في هذا الدين من غير المسلمين، ولمن ضعفت بصائرهم من أبناء المسلمين أن نصوص هذا الدين من التعارض، والتضارب إلى حد تكون معه صالحة للاستدلال على الشيء ونقيضه، وهذا نوع من الافتتان الذي أمرنا الله - عز وجل - بسؤاله سبحانه البعد عنه ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الممتحنة : ٥]، ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس : ٨٥] فعياذاً بك اللهم من أن نكون بأفعالنا، وأقوالنا، وتصرفاتنا، ومواقفنا، فتنة للقوم الكافرين.

الجهل بالدين ومقاصده سبب الانحراف

إن هذه الفئة المنحرفة ومن تأثر بأفكارها من شباب الأمة، ما كان لها ولمن تأثر بها أن تسلك هذا المسلك المنحرف، لولا الجهل العظيم بنصوص الكتاب والسنة، وقواعد الشرع ومقاصده العظيمة، وكلياته ومبادئه، هذا الجهل الذي حملهم على إعجابهم بما قد يكون عندهم من علم مبتور، وحجة ناقصة، وأدلة يجتزؤنها اجتزاءً، ويقدمون فيها المتشابه على المحكم، حتى صدق فيهم قول النبي ﷺ: **(وإعجاب كل ذي رأي برأيه)**[1].

هذا الجهل الذي دفع أصحابه إلى ارتكاب تلك المحرمات، والإقدام على تلك الموبقات.

إن الواحد من هؤلاء لا يتورع عن إطلاق الأحكام العظيمة، التي بها تستباح الدماء، والأموال، وتزهق الأرواح، ويحكم بموجبها على من وجهت له بالخلود في النار، لا يتورع هؤلاء عن إطلاق هذه الأحكام، والتأليف فيها، والكتابة حولها، دونما رجوع إلى أهل العلم المعتد بهم، بل على الضد من ذلك لا تجد في أدبيات خطابهم إلا التسفيه لآراء العلماء، والاحتقار لعلمهم، وفي

---

(١) طرف من حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ عن آية المائدة: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ فقال له النبي ﷺ: **(بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوىً متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه...)**، الحديث أخرجه أبوداود (٤٣٤١) والترمذي (٣٠٥٨) وابن ماجه (٤٠١٤) وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

الوقت نفسه لو نزلت بالواحد من هؤلاء نازلة، أو مسألة في أمر من أمور دينه الفرعية لوجدته يبحث عن فتاوى هؤلاء العلماء، ويسعى في طلب جواب لمسألته في تراثهم الفقهي، ولا يطمئن إلى رأيه، فكيف يكون الأمر كذلك في المسائل الفرعية من حيث الرجوع إلى أهل العلم الثقات، والأخذ بفتاويهم، بينما في المسائل الكبار، والقضايا العظام، يُتَعَمدُ فيها تجهيل العلماء، ومصادرة آرائهم، واتهام نواياهم ومقاصدهم؟.

على أي أساس علمي يفرق في السؤال، والبحث، بين مسائل يرجع فيها إلى أهل العلم، وأخرى يُعْرَضُ فيها عن التلقي عنهم، بل ويرتفع فيها عند النقاش وصفهم بالعلماء!.

إن لم يكن هذا صورة من أجلى صور الهوى المردي لصاحبه، فما أدري ما هو الهوى الذي حذر منه الله عز وجل ورسوله ﷺ؟، ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

إن لم تكن هذه هي الانتقائية المذمومة في الرد إلى أهل العلم، فما أدري ماهي الانتقائية!

إن المنهج الحق، ومسلك الرشد، يقتضي الرد إلى أهل العلم القادرين على الاستنباط في جميع ما يشكل على الناس، والصدور عن رأيهم، دون تفريق بين أمر وآخر؛ إذ هم ورثة الأنبياء، المبلغون شريعة الله، الحملة لسنة نبيه ﷺ ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ

مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء : ٨٣].

إن المعول عليه في الأمر بالرد إلى أهل العلم إنما هو معرفتهم بنصوص الكتاب والسنة، وفقههم لمعانيها، وإدراكهم لمقاصد الشريعة، وقدرتهم على تنزيل ذلك على الوقائع والنوازل، مع مراعاة ما جاءت به الشريعة في الموازنة بين المصالح والمفاسد، وأحسب أن لأهل العلم الثقات من ذلك القدح المعلى والنصيب الأوفى.

فلا تلتفت - يا رعاك الله - بعد هذا إلى دعاة الفتنة، وتصنيفهم العلماء، والدعاة، إلى فئة يرجع إليها في فتاوى الجهاد والإمامة والتكفير، وأخرى غير مؤهلة للحديث عن هذه المسائل والموضوعات، فضلا عن اعتماد أقوالهم أو فتاويهم، فإن هذه الفرية بمثابة الشباك التي ينصبها دعاة الغلو للإيقاع بغيرهم، ومن ثم إبعادهم عن العلماء أو الدعاة، ليتسنى لهم إقناعهم بمنهجهم المنحرف، وفكرهم المتطرف ؛ لأنه متى ما عزل الشباب عن مصدر العلم والهدى، سهل إقناعه بالشبهة، وترويجها عليه.

ولأن تجعل دليلك - أيها الشاب - في معرفة الحق والعمل به، العلماء الربانيين، والدعاة الناصحين، المشهود لهم من سواد الأمة بالخيرية والصلاح، والهدى والتقى، خير من أن تجعل قدوتك أشخاصاً مجاهيل، لم يعرفوا بعلمٍ متلقى على المنهج الصحيح، ولا عَمَلٍ نافعٍ للأمة، وإذا ارتضيتَ الأئمةَ الأعلام في أمور عقيدتك وعبادتك، فارض بهم كذلك في أمور منهجك وعملك، تسعد وتسلم في دنياك وآخرتك.

العاطفة والحماسة ليستا دليلا على صحة الدعوى

إن العاطفة، والحماسة تجاه واقع المسلمين وقضاياهم، التي قد توجد عند كثير ممن ينهج هذا النهج المنحرف، ليست دليلاً على صحة الدعوى، ولا سلامة المنهج، ولا حسن الطريقة، فلم تكن العاطفة و الحماسة يوما ما معياراً للحكم على سلامة المنهج وصحة الدعوى ،بل إن العاطفة إذا لم تضبط بضوابط الشريعة أصبحت عاطفة مدمرة، تدمر صاحبها ومن حوله، كما أن الحماسة إذا لم توزن بميزان الشرع تغدو مجرد حركات هوجاء، تقضي على الأخضر واليابس، وقد قال ﷺ عن الخوارج، وهم من هم في شدة حماستهم، وقوة عاطفتهم، كما تشهد بذلك أدبياتهم النثرية، والشعرية: **(يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية)**[1].

أرأيت إلى موقف الفاروق عمر ﷺ يوم الحديبية من بنود الصلح يوم قال مستفهماً، ومراجعاً رسول الله ﷺ: يا رسول الله ألستَ برسول الله ؟ قال: **(بلى)**، قال: أَوَ لَسنا بالمسلمين؟ قال: **(بلى)**. قال: أَوَ لَيسوا بالمشركين ؟ قال: **(بلى)**. قال: فَعَلامَ نعطي الدنية في ديننا؟.

إنه موقف يفيض بالعاطفة والحماسة، ويتدفق بمعاني البطولة والفداء، والتضحية والإباء (فعلام نعطي الدنية في ديننا؟).

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٠) من حديث أبي سعيد ﷺ الطويل في وصف الخوارج.

ولكن هذه المعاني كلها لم تكسب ذلك الموقف من عمر ﷺ الصواب، ولم تمنحه السداد، بل ظل موقف رسول الله ﷺ المقر ببنود الصلح، هو الرشد عينه، والخير كله للإسلام والمسلمين يوم قال ﷺ: **(أنا عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره، ولن يضيعني)**.

وما أجمل ماقاله عمر ﷺ بعد ذلك في موقف الاعتراف بالخطأ، والندم عليه: (مازلت أتصدق وأصوم، وأصلي وأعتق، من الذي صنعت يومئذ، مخافة كلامي الذي تكلمت به، حتى رجوت أن يكون خيرا)[(١)].

وما أروع أن نعي، ويعي شبابنا، هذه الحقيقة، فيتهموا رأيهم أمام العلماء والكبراء، ويدركوا أن الحق لا يعرف بما يصاحبه من حماسة، ولا بما يقارنه من عاطفة، وإنما يعرف الحق بالهدى والبينات، التي يسوقها العلماء الراسخون للدلالة عليه.

نعمة الأمن في هذه البلاد

إننا بحمد الله عز وجل في هذه البلاد المباركة ننعم بنعمة الأمن، والتوحيد، والسنة، وإنَّ واجباً على كل مسلم من أهل هذا البلاد، والمقيمين فيها أن يعملوا على ترسيخ هذه النعم، ويحذروا من كل ما يعرضها للزوال، ولنأخذ عبرة ممن هم حولنا من المجتمعات التي غدت ساحة للصراعات،

---

(١) انظر: خبر هذه القصة بهذا السياق في السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق همام سعيد (٣/٤٣٩ و٤٤٠)، وأصلها في البخاري (٢٧٣١ و٢٧٣٢)، ومسلم (١٧٨٥)، ومسند أحمد (١٨٩١٠) بسياق طويل في قصة الحديبية.

والاضطرابات، لا يأمن الإنسان فيها على نفسه وعرضه، وماله، وولده، حيث الخوف يحيط بهم من كل جانب، في صباحهم، ومسائهم، وليلهم، ونهارهم، وبيوتهم، ومحال عملهم، وأسواقهم، وطرقاتهم، بل وفي المساجد ودور التعليم، عياذاً بالله من زوال نعمته، وتحول عافيته، وفجاءة نقمته.

ولهذا فما أعظم الجهد الذي يبذله رجال الأمن، وما أعظم المسؤولية التي تحملوها في سبيل المحافظة على الأمن واستتبابه، والوقوف ضد المفسدين والمجرمين، وكل عابث بأمن البلد، واستقراره.

تصوروا عظم المفاسد، وعظيم الخراب والدمار، الذي كان سيحصل لو تمكن أولئك المنحرفون من تنفيذ مآربهم، وتحقيق مقاصدهم، ولكن الله وقى المسلمين شرهم، وأبطل كيدهم، فلله الحمد والشكر أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، فبفضله وحده أُبْطِلَ كيد الكائدين، وَتَمَّ دحر المجرمين، ثم دعاؤنا للمولى عز وجل بأن يحفظ رجال الأمن، ويثيبهم خيرًا على أعمالهم المباركة، وجهودهم المحمودة، في تتبع هؤلاء المنحرفين، وأن يحتسب من مات منهم في عداد الشهداء، ويخلفهم في أهليهم وذرياتهم بخير، إنه جواد كريم.

إنه إذا كانت هذه الجهود لرجال الأمن في تتبع معتنقي هذا الفكر تذكر فتشكر، فإن جهودهم مع الموقوفين من أفراد هذه الفئة، لا تقل أهمية عن ذلك، بخاصةٍ إذا صاحبها إخلاص لله - عز وجل - وحرص على هداية أولئك الموقوفين، وتلطفٌ في المعاملة، والتزام بأدب الإسلام وتوجيهاته،

(فإن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه)[1].

وقد أمر سبحانه موسى، وهارون – عليهما السلام – باللين، والرفق في القول، في مخاطبة من ادعى الربوبية، وقتل الأطفال، واستحيا النساء، واستعبد الرجال، فقال سبحانه: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه: ٤٤].

إن هؤلاء الشباب الذين يحملون الفكر الغالي – وبخاصة من لم يشارك منهم في أعمالٍ إجرامية – هم في حقيقة الأمر مرضى، ولكن من نوعٍ آخر، وحقٌّ على من يقوم بعلاج المريض أن يسلك أحسن الأساليب، وأنجع الطرق، وأسرعها تأثيراً، وأحمدها عاقبةً، ومن أنفع الأدوية في ذلك: المحاورة، والإقناع بالحجة والبرهان، المقرونة بالكلمة الطيبة، والإحسان في المعاملة، والرفق في المخاطبة.

إنه إذا كان إيقاف المتأثرين بالفكر الغالي – للحيلولة دون توظيفهم للمشاركة في أعمالٍ إجرامية – نجاحاً وإنجازاً، فإن اكتمال صورة النجاح، ومشهد الإنجاز، يتحقق حينما يعان هؤلاء الشباب على مراجعة أنفسهم، ونقد ما يحملونه من أفكارٍ خاطئة؛ ليتحولوا بعد ذلك من ضيق الغلو، إلى سعة الوسطية، والاعتدال، وتلك قمة النجاح، والإنجاز، التي ننشدها جميعاً، ونتمنى أن تتحقق سريعاً، والله الهادي من يشاء إلى صراط مستقيم.

---

(١) كما في حديث عائشة رضي الله عنها المخرج في صحيح مسلم (٢٥٩٣).


تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

بصائر في
معالجة ظاهرة الغلو



تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

ضرورة مواصلة الجهود وتنوعها في معالجة مشكلة الغلو

إن ما يمر به مجتمعنا المسلم من فتنة المسارعة إلى التكفير، ومسلك الغلو لدى طائفة قليلة من أبنائه، ممن لاحظ لديهم من علم شرعي، أمر يستدعي تركيز الجهود ومواصلتها، وتكثيف البرامج والدراسات، و الاستفادة من أهل الخبرة، وكافة فئات المجتمع، ممن يهمهم أمر هذا المجتمع، وأمنه وصلاحه واستقراره، من أجل النظر في هذه المشكلة الخطيرة، والظاهرة الشنيعة، وتقديم الحلول الناجعة، والبرامج المفيدة، التي تتحقق معها أسرع النتائج، وأمثلها في الوقت نفسه.

إنه ليس مستكثرا أن تعقد اللقاءات والحوارات، وتستنفر الطاقات والإمكانات ـ على المستوى الرسمي والأهلي ـ لدراسة هذه القضية الشائكة، وتداعياتها، ومتى ما خلصت النيات، وأصبح الهدف لدى الجميع المحافظة على عقيدة البلد، ومنهجه الإسلامي، وأمنه ومقدراته، ومكتسباته، فلن تعجز العقول النيرة، والنفوس الوفية من أبناء هذا البلد المبارك ـ وما أكثرها ـ عن إيجاد حل لهذا الداء الوبيل، إن لم يقطع دابره، فلا أقل من تحجيمه، وعزله عن دائرة التأثير.

إن من الجهود التي ينبغي أن يشاد بها: تلك الحوارات، والمناقشات التي تجري بين بعض طلبة العلم والموقوفين في قضايا الغلو، وأملنا أن تسفر تلك الجهود المباركة عن عودة حقيقية عن هذا الفكر الغالي، وتراجع عنه، وانحسار لمعتنقيه، وكلما اتسمت تلك اللقاءات بالصراحة والشفافية، من قبل أطراف

الحوار، واتسعت الصدور لسماع الشبه مهما كانت غرابتها، وحدتها، وقوبلت بنقاش علمي هادئ، وأسلوب يتسم باللطف والرفق، كلما كان ذلك أدعى لسرعة الاستجابة، وأرجى لقبول الحق، وعلى طلاب العلم وغيرهم من المشاركين في تلك الحوارات من المسؤولية العظيمة ما تستدعي علماً عميقاً، وصبرًا جميلاً، وحلماً بليغاً، وصدراً منشرحاً، ورفقاً عظيماً، سدد الله جهود العاملين المخلصين، وشرح صدورنا لسماع الحق وقبوله.

مسؤولية الجميع في مواجهة تيار الغلو

لقد أثبتت المجهودات الأمنية في التضييق على أصحاب هذا الفكر المنحرف، وملاحقة معتنقيه مالها من أثر في حماية المجتمع: حفظاً للأمن، ووقاية لمعتنقي هذا الفكر، من شر أنفسهم، وحماية للمجتمع من إفسادهم.

ولكنَّ هذه الجهود المباركة مع أهميتها، ونجاحاتها المتواصلة، لا يمكن لها وحدها أن تقضي على هذه الظاهرة - ظاهرة الغلو، والمسارعة في التكفير، وما صاحبها من إفساد وتفجير - ما لم تنضم إليها جهود، وأعمال أخرى، يقوم بها كل من له أثر في التصحيح، والتوجيه، من العلماء، والدعاة، والمثقفين، والمفكرين، وترعاها مؤسسات التربية، وقنوات التثقيف، بدءاً من الأسرة، ومروراً بالمدرسة، والجامعة، والمسجد، والصحافة، ووسائل الإعلام، ومواقع الإنترنت، والمنتديات، واللقاءات الخاصة والعامة.

لا بد أن تتكامل هذه الجهود فيما بينها؛ لتؤلف مشروعاً شاملاً في معالجته، متسقاً في مساراته، متدرجاً في خطواته، منطلقاً في برامجه من عقيدة الأمة

وشريعتها، وهو بهذه المثابة سيكون بمشيئة الله — مشروعاً ناجحاً، إن لم يقض على مشكلة الغلو، فلا أقلَّ من أن يثمر تقليصاً لهذه الظاهرة، ومحاصرةً لها، وتحجيماً لأثرها.

غير أن مما ينبغي التأكيد عليه؛ لتؤتي هذه الجهود ثمارها، وتحقق النتائج المرجوة منها، ضرورة ابتعاد مؤسسات المجتمع المختلفة، المعنية بالأمر، بل وحتى الأفراد، عن كل ما من شأنه أن يوفر بيئة صالحة، لتغذية الغلو، وإمداده بمقومات البقاء والاستمرار، فإذا كان أسلوب الإثارة في الوعظ والتوجيه قد يسهم في ذلك، فإن الحديث عن عقيدة الأمة، وثوابتها الشرعية، والتشكيك فيها والطعن في علمائها، والحط من مكانتهم، والنقد الجارح لمؤسساتها الدينية، وأجهزتها الشرعية، أو السخرية من كثير من مظاهر التدين في المجتمع، ووصفها بالعادات والتقاليد، أو أنها تمثل نوعاً من الغلو، والتشدد في فهم الدين، وتطبيقه، ومن ثم المناداة بضرورة التخلص منها[1]، كل ذلك وأمثاله عوامل تذكي أوار الغلو، ولهيب الفتنة[2]، وتسهم إلى حد كبير في إضعاف الجهود المبذولة لمعالجة الغلو، وهداية المتأثرين به، فضلاً عن كون هذه الحملات الآثمة تعد عداءً صارخاً لدين الأمة، لا يستفيد منها إلا أعداء الأمة المتربصون بها الدوائر.

---

(١) كما ينادي بعض الكتبة الذين يصارعون من أجل نشر السفور، والتبرج، وزج المرأة في أتون الاختلاط، والعمل على إلغاء المحرم للمرأة، وإبطال القوامة، وولاية الأب أو الزوج عليها، والمطالبة بإلغاء الهيئات، أو تحجيم دورها، وأشباه ذلك مما تفرزه بعض أقلام الكتبة.

(٢) مع التأكيد على أن ذلك لا يمكن بحال أن يكون مسوغاً شرعياً لأعمال التفجير، والتدمير، والإفساد.

إن المسؤولية في مواجهة ظاهرة الغلو مسؤولية مشتركة، ولا يمكن القبول بأن تنحرف طائفة من أبناء المجتمع فتصور مواجهة هذه الظاهرة على أنها صراع بين تيارين، فالمسألة في مواجهة فتنة الغلو أعظم من ذلك، إنها حمايةٌ لدين الأمة، وعقيدتها، ومحافظة على وطن قام على هدي من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولهذا فإنَّ التقاعس عن مواجهة هذه الظاهرة ومعالجتها له عواقب وخيمة، ونتائج مخيفة، لا يعلم مداها إلا الله؛ لأنه متى ما استشرى هذا الفكر الحاد الذي لا يعرف سوى لغة الصدام والمواجهة، لغة الدماء والتصفيات، متى ما استشرى هذا الفكر في أوساط أبنائنا من شباب المجتمع، فسيكون له آثار مدمرة على المجتمع كله، بكل فئاته.

إن شواهد التاريخ المعاصر لهذه الحركات الغالية تدل على أن لغة الصدام والتصفيات، هي لغة التفاهم حتى مع رفاق الدرب، وأصدقاء الأمس، ولن يعجز كل من أسس منهجه على بدعة، وأقام كيانه على محض رأيٍ، وهوى، من تأويل يستبيح به دماء مخالفيه في الرأي، والمنهج، والطريقة؛ لأن البدعة فرقة، والفرقة لا تثمر إلا اختلافاً وتنازعاً، والتنازع لا ينتج إلا خصاماً وعداءً.

الحرص في معالجة مشكلة الغلو على الأساليب المعينة على الهداية والرجوع إلى الحق

إن من الواجب على كل من آتاه الله بصيرة ونورا، أن يجتهد في تقديم ما يستطيع تقديمه من أجل معالجة هذه الظاهرة، من خلال بيان الحق، وكشف الباطل، وإزالة الشبهة، اعتماداً على الله واستعانةً به، وحرصا على مقابلة

الشبهة بالحجة القاطعة، والبرهان الساطع، والنقاش العلمي الهادئ، دونما تشنج في الطرح، أو مصادرة للرأي، أو مجرد عاطفة في الحوار، ونحو ذلك مما لا يقضي على الشبهة، بل قد يسهم في زيادة انتشارها ورسوخها.

إن مما يجب أن يصطحبه كل ساع في الإصلاح والمعالجة: الحرص الأكيد على هداية أولئك المنحرفين ممن ضلوا سواء السبيل؛ لأن من أهم ما يحرص عليه المسلم هداية الناس كلهم إلى الحق والصراط المستقيم، فكيف إذا كان أولئك المنحرفون من أقرب الناس إليه، ممن يجمعه بهم بلد واحد ومصالح مشتركة، وبخاصة عوام المنتمين لهذا التيار، الذين لم تتأصل تلك الأهواء في عقولهم، ولم تتمكن من قلوبهم.

ولا شك أن هذه المهمة - مهمة استصلاح عقول أولئك المنحرفين، وتصحيح مفاهيمهم - مسؤولية صعبة، وشاقة، تحتاج إلى صبر عظيم، ونفس طويل، وبرامج متنوعة، رسمية وأهلية؛ لأن الانحراف الفكري أعظم من الانحراف الخلقي، ولكن هذه المهمة مع صعوبتها إلا أنها في الوقت ذاته مهمة شريفة، ورسالة نبيلة، تستحق أن تبذل لها الأوقات، وتصرف لها الطاقات، والإمكانات، حتى يكتب الله لها النجاح والتوفيق، فيقضى على تلك الفتنة العمياء، ويحظى كل من شارك في العلاج، وأسهم في الحل، بالثواب والأجر، من الله عز وجل، والدعاء، والثناء من عباد الله المؤمنين.

بصائر

للآبــــاء والمعلمين

واجب الآباء تجاه أبنائهم

إن من أوجب الواجبات على الآباء، وأولياء الأمور، الحرص على القرب من أبنائهم قرباً حسياً، ومعنوياً، يتجلى ذلك القرب الحسي في الجلوس معهم، وعدم الغياب عنهم، وملاحظة شؤونهم، ومتابعة أمورهم، ومعرفة أحوالهم، كما يتجلى القرب المعنوي من الأبناء في أن يكون الأب لأبنائه أباً شفيقاً، رحيماً، ودوداً، رفيقاً.

إن الأب متى ما كان بهذه الصفة في القرب من أبنائه فإنهم لن يجدوا أدنى حرج مع أبيهم في مصارحته بما لديهم من أفكار، ورؤى، ومشكلات، وتطلعات، يقابلها الأب في الوقت ذاته بكل تفهم، وتعقل، مهما كان الشطط، أو الغرابة فيها، ومهما عظم انحرافها وخطؤها، فيسمع ما لديهم، ويحاورهم، ويناقشهم، بكل لطف، ورفق، ويأخذ معهم ويعطي، دونما تعنيف، أو غلظة، أو تسفيه، أو مصادرة للرأي، أو طلب للكف عن الكلام، أو الامتناع عن المناقشة، وفي سيرة النبي ﷺ، وهديه في التعامل مع الأخطاء، والانحرافات، خير قدوة لكل أبٍ ومربٍ، ومعلم.

تأمل قصة ذلك الشاب الذي جاء إلى النبي ﷺ، طالباً منه إباحة الزنا له، وموقف النبي ﷺ من هذا الطلب الغريب، والشنيع في الوقت ذاته، حيث يطلب ذلك الشاب أن يبيح له النبي ﷺ أمراً محرماً، معلوماً تحريمه من الدين بالضرورة، فما كان من المعلم الأول، والمربي القدوة، لكل مسلم ومسلمة، إلا أن حاور ذلك الشاب في مطلبه، بكل رفقٍ، ورحمة، ومحبة.

حدث أبوأمامة الباهلي ﷺ قال: إن فتىً شاباً أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله: إئذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مَهْ مَهْ، فقال ﷺ: **(ادنه)**، فدنا منه قريباً، قال: فجلس، قال ﷺ: **(أتحبه لأمك؟)**، قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال ﷺ: **(ولا الناس يحبونه لأمهاتهم)**، قال ﷺ: **(أفتحبه لابنتك؟)**، قال: لا والله، يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال ﷺ: **(ولا الناس يحبونه لبناتهم)**، قال ﷺ: **(أفتحبه لأختك؟)**، قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال ﷺ: **(ولا الناس يحبونه لأخواتهم)**، قال ﷺ: **(أفتحبه لعمتك؟)**، قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال ﷺ: **(ولا الناس يحبونه لعماتهم)**، قال ﷺ: **(أفتحبه لخالتك؟)**، قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قالﷺ: **(ولا الناس يحبونه لخالاتهم)**، قال: فوضع يده عليه وقال ﷺ: **(اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه)**[1].

وبعد انتهاء تلك المحاورة التي تفيض عاطفةً، ومحبةً من جهة، وقوة حجة وبرهانٍ من جهة أخرى، خرج ذلك الشاب وعقله، وفكره، كله قناعة بتحريم الزنا، وقلبه مبغض له، نافرٌ منه، حتى عبر عن ذلك الراوي بقوله: «فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء».

إن من شأن المواقف السلبية في الحوار، والمناقشة، التي يقفها بعض الآباء مع الأبناء - وما أكثرها مع الأسف - أن تسهم في إيجاد نفرة بين الأب، وبين أبنائه، تتلوها بعد ذلك: الفجوة فالقطيعة، وقد يقعون بعد ذلك فريسة

(١) رواه أحمد في المسند، ٥٤٥/٣٦ [٢٢٢١١]، بسند صحيح.

سهلة لدعاة ذلك الفكر المنحرف، وهذا ما يشكو منه بعض الآباء اليوم حيث يفاجأ بواحد من أبنائه وقد تبنى مثل هذه الأفكار المنحرفة، وتأصلت في نفسه، وقد يكون من الأسباب الرئيسة لذلك: بُعْدُ الأب عن ابنه، وعدم مشاركته له في همومه وأفكاره، ومشكلاته وتطلعاته، أو إعراض الأب عن مناقشته لما قد يوجد عند ابنه من أفكار وآراء بعيدة عن الصواب، أولاً بأول، وبذل الجهد لتصحيحها، وتقويمها، حتى تفاقمت، وتعقدت، وصعب على الأب علاجها.

ولهذا فإن مما ينبغي أن يعلمه الآباء، والمعلمون، ممن قد يكون لدى أحد أبنائهم، أو تلاميذهم مثل هذه الأفكار المنحرفة، أن هذه الأفكار ربما لم تكن وليدة الساعة، ولهذا فإن علاجها لا يمكن أن يحدث في يوم وليلة، بل لابد من الصبر، ومواصلة الجهد، والحذر من الانفعال أثناء المناقشة، والحرص على تمتين الصلة، وتقوية العلاقة بين الأب وأبنائه، والمعلم وتلاميذه، وسؤال الله أولاً وقبل كل شئ الإعانة على ذلك، والاستعانة بأهل الرأي والخبرة من العلماء، والدعاة، والمربين، على إيجاد الحل المناسب لهذه المشكلة، وكلما أمكن التعرف على المشكلة مبكراً، كلما كان ذلك أقرب لحلها ومعالجتها.

ضرورة التعرف على أصدقاء الأبناء وتشجيعهم على الجلساء الصالحين وتحذيرهم من أصحاب الفكر والسلوك المنحرف

إن من أهم ما يجب على الآباء العناية به في تربية أبنائهم: معرفة جلسائهم، وأصدقائهم، وذلك من خلال استضافتهم في البيوت، والذهاب

إلى أماكن لقاءاتهم، ومشاركتهم أنشطتهم، والاستماع لما يدار فيها، ومعرفة القائمين على تلك الأنشطة، سواء أكانت داخل المدرسة، أم حلق تحفيظ القرآن الكريم، أم غيرها من الأنشطة الطلابية، وذلك لما للجليس من عظيم الأثر على صديقه في تكوين القناعات، والأفكار، والتصرفات، والسلوكات، هذا التأثير الذي يفوق في كثير من الأحيان تأثير الأسرة، والمدرسة، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: **(الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)**[(١)].

إن من الخطأ الكبير أن يظن بعض الآباء أن الحل الأمثل في ظل هذه الفتن يكمن في إبعاد أبنائه عن أصدقائهم، وزملائهم، أو إبعادهم عن الأنشطة الطلابية، بل هذا - في نظري - اجتهاد خاطئ، إن نفع في مرحلة عمرية فإنه لن ينفع في مراحل أخرى، بل قد تكون له مضاعفات خطيرة، ونتائج عكسية، وردود فعل شديدة، فهو إما أن يدفع الابن نحو مزيد من الغلو في الأفكار والمفاهيم، وإما أن يقوده إلى الانحراف الخلقي، والفساد السلوكي، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم.

إن الحل الأمثل - في نظري - أن يحرص الآباء في تربيتهم لأبنائهم على تنمية مهارة التمييز بين الحق والباطل، والخطأ والصواب، ومهارة التفريق بين الجلساء الناصحين، والجلساء الذين يجب الحذر منهم، والابتعاد عن مجالستهم، وتبصيرهم قبل ذلك وبعده بمواقف الحق والرشد، ومواضع الخلل

---

(١) أخرجه أبوداود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨) من حديث أبي هريرة ﷺ وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب صحيح».

والشطط من الأحداث والقضايا، والنوازل، إما عن طريق الأب مباشرة إن كان قادرا على ذلك، أو عن طريق غيره من العلماء، وطلاب العلم، والدعاة.

ومتى ما اطمأن الأب إلى جلساء أبنائه في حسن منهجهم، وسلامة مسلكهم، ووضوح أفكارهم، شجع أبناءه على ملازمتهم، والمضي معهم، مع استمرار المتابعة، والتوجيه، والتقويم، ومتى ما أدرك أي خلل، أو انحراف، سارع إلى علاجه، وتقويمه قبل أن يستفحل، وذلك من خلال المحاورة، والمناقشة، والبحث عن أسباب ذلك الخلل، والطرق التي أدت إليه، والعمل على قطعها، وإغلاقها بالأساليب المناسبة.

والآباء مع هذه المسؤولية العظيمة بحاجة إلى دورات تدريبية، وتربوية، يكتسبون منها أهم الأساليب، والوسائل التي تعينهم على القيام بمسؤولياتهم تجاه أبنائهم، وحمايتهم من الأفكار الضالة والطرق المشبوهة، وهم قبل ذلك ومعه بأمس الحاجة إلى التضرع إلى المولى - عز وجل - وسؤاله صلاح الأبناء، وهدايتهم، وحفظهم في دينهم وأخلاقهم، فهو سبحانه الهادي وحده .

مسؤولية المعلمين في حماية النشء من أفكار الغلو والانحراف

أما المعلمون والمربون فإن واجبهم في تربية النشء عظيم، ومسؤوليتهم في حمايته من الانحراف جسيمة، وكيف لا تكون المسؤولية كذلك، والأسرة دفعت بفلذات أكبادها إلى هذه المحاضن التربوية ،والمعلمون يقضون الساعات الطويلة كل يوم في تربية النشء، وتثقيفه، ومفردات المناهج الشرعية، وموضوعاتها مليئة بكل مايعين على القيام بهذه المسؤولية، و يسهم في التربية

على معاني الوسطية، والاعتدال، والبعد عن الغلو والانحراف، متى ما اجتهد المعلم في توظيف تلك المعلومات، وحرص على حسن إيصالها إلى تلاميذه، ليتلقوها بقناعة تامة، تنعكس إيجابا على تصرفاتهم و سلوكاتهم.

والمعلمون مع ذلك مسؤولون أمام الله عز وجل عن هذه الأمانة، فبقدر رعايتهم لها تعظم أجورهم، وينبل قدرهم، ويحسن أثرهم، وأعيذك بالله أخي المعلم من أن تكون ممن ضيعوا مسؤولياتهم، وخانوا أماناتهم، فَأَسْهَمُوا بذلك في ضياع الجيل، وانحرافه، والله عز وجل يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

ورسول الله ﷺ يقول: **(كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)**(١).

تعميق المعلمين والمربين الشعور بنعمة الأمن لدى الطلاب

إن على كل معلم أن يتقي الله عز وجل في قيامه بهذه المسؤولية، وأن يُحَكِّمَ نصوص الشرع، وينطلق في رسالته التربوية من قواعد الشرع، ومقاصده العظيمة، ويجعل نصب عينيه وهو يقوم بهذه المهمة الجليلة، والرسالة الشريفة: أن من أعظم ما جاءت به هذه الشريعة: تحقيق الأمن، وترسيخه في المجتمع، والحرص على جمع الكلمة، ووحدة الصف، لما لذلك من أعظم الآثار، وأحلى الثمار، وأروع النتائج التي يجنيها الفرد والمجتمع والبلاد بعامة، متى ما استتب الأمن لها، ولهذا كان امتنان الله ـ عز وجل ـ على عباده بنعمة الأمن

---

(١) أخرجه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

عظيما ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش : ٣-٤] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت : ٦٧].

فبربك أخي المعلم هل يمكن للأفراد والمجتمعات أن تهنأ، وتطيب لها الحياة في ظل انعدام الأمن، وفشو الخوف؟

وهل يمكن أن تتحقق الحياة الطيبة في ظل الفرقة، وتشتت الكلمة، وتمزق الصف؟.

هل يمكن لعجلة التنمية، والتقدم أن تستمر مع غياب الأمن؟.

وهل يمكن أن تنتصر الأمة على أعدائها الذين يتربصون بها الدوائر في ظل فتن داخلية، وصراع داخلي؟.

بل هل يمكن أن يهنأ الناس بعباداتهم وطاعاتهم، في ظل الخوف على الأنفس، والأموال والأعراض؟.

أليس ما يجري في أفغانستان، والعراق، والصومال، وغيرها من البلدان، أمثلة حية لما تجره الفتن على المجتمعات الإسلامية من مصائب، وويلات تتنغص معها الحياة، وتتكدر معها المعيشة، وتتعطل معها حركة الإعمار والتنمية في مختلف المجالات؟

ألسنا نرى الأعداء - على مدار التاريخ - لا يتحركون إلا في ظل الفتن، والنزاعات الداخلية؟.

إنه ليس من المبالغة في شيء القول إن زعزعة الأمن: **بوابة الشرور والمفاسد**، في مختلف مناحي الحياة، السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والعلمية، والدعوية، وغيرها من المجالات، الفردية والجماعية.

ولهذا فإن تعريض هذه النعمة - نعمة الأمن - للاضطراب جناية عظيمة في حق الدين، والفرد، والمجتمع؛ لأن اختلال الأمن وضعفه، نار يصلاها الجميع، ومعاناة يتجرعها كل أحد، ومن ثم فإن المحافظة على نعمة الأمن، وحراستها واجب على كل محب لهذه البلاد المباركة، من أهلها والمقيمين فيها.

إن على المعلمين من هذه المسؤولية ـ مسؤولية المحافظة على الأمن ـ نصيب أوفى، من خلال الإسهام في تعميق الشعور بنعمة الأمن لدى المتعلمين على اختلاف مراحلهم الدراسية بما يتناسب مع كل مرحلة، والعمل بجد، وصدق، وبذل قصارى الجهد في كشف ضلال منهج الغلو، والانحراف، وتفنيد شبهه بالحجج البينات، وما يؤيدها من أحداث التاريخ، وشواهد العصر، والسعي لغرس بغض هذه البدع المهلكة، والآراء والأهواء المردية، في نفوس أبنائهم الطلاب، مع بيان ما ينجم عنها من آثار سيئة، وعواقب وخيمة على الأفراد والجماعات، وتفعيل وصايا أهل العلم، والدعاة، وتوجيهاتهم في هذه المسائل، وذلك كله بالأساليب المناسبة، والطرق المتنوعة، المباشرة وغير المباشرة، والسعيد من وعظ بغيره ولم ينتظر حتى يتعظ بنفسه.

بصائر
للدعـاة والمصلحين



تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

رسالة الدعاة في تبصير المجتمع والبعد عن أساليب الإثارة والتهييج

إن مهمة الدعاة، ووظيفة المصلحين، في هداية الناس، ودلالتهم على الحق، والأخذ بأيديهم إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة، هي في حقيقة الأمر امتداد لرسالة الأنبياء، والمرسلين: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]. فعلى من يتقلد هذه الوظيفة، السامية، أن يسلك مسلك النبي ﷺ، ويتحلى بالبصيرة التي تعينه على أداء رسالته، وتبليغ مهمته، على أحسن وجه، وأكمله.

ولهذا فإن على الدعاة والخطباء، وأرباب الفكر والقلم، أن يتقوا الله – عز وجل – في أسلوب خطابهم، وأن يبتعدوا عن مجرد إثارة العواطف، وتأجيج المشاعر، وأن يعتمدوا في أسلوبهم على الكلمة الهادئة، والحجة المقنعة، والنظر في مآلات ما يقولونه، ويتلفظون به، مراعين أحوالَ المتلقين عنهم، وما تحدثه تلك الكلمات في نفوسهم.

إن اعتماد أسلوب الإثارة، وتأجيج العواطف، خلل في تربية المدعوين، وتوجيههم، وغاية ما ينتجه ذلك الأسلوب: احتقان نفس المتلقي في النظر إلى من حوله من أفراد، ومجتمعات، وحكومات، هذا الاحتقان الذي يتراكم شيئاً فشيئاً من خلال الكلمات، والبرامج، حتى

تكون نفسية المتلقي لذلك الخطاب والمُرَبَّى عليه بيئة خصبة لتلقي كل فكر غالٍ، ورأي متشدد، تتعطل معه كل منافذ التبصر، والتبين لدى الشخص، ومن ثم لا يرى الأشياء من حوله، ولا يحكم عليها إلا من تلك الزاوية التي تربى عليها.

غير أن هذه الدعوة لترك الإثارة في الخطاب، لا تعني البتة التساهل في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، أو التقليل من أهمية النقد الهادف، لأي مظهر من مظاهر الخلل، أو الفساد في أي جانب من جوانب الحياة، كلا، بل ذلك حق واجب على كل مسلم، ومسلمة، بحسب قدرته، واستطاعته، كما قال ﷺ: **(من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)**[1].

إن هذه الأمة إنما اكتسبت خيريتها على الأمم، بإيمانها بالله، وأمرها بالمعروف، ونهيها عن المنكر، فمن سره أن يكون من هذه الأمة، فليؤد شرط الله منها، كما قال عمر ﷺ، ومتى تركت الأمة هذه الوظيفة الجليلة، فقد تُوُدِّع منها.

وعلى هذا فكما أن الإثارة في أسلوب الإنكار والنقد مذمومة، فإن التقاعس عن القيام بهذه المهمة من المؤهلين لها مذموم أيضاً، وأشد من ذلك كله ذماً أن يوصم الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، بالخروج على ولي الأمر، بمجرد قيامه بهذه الشعيرة، واعتنائه بها.

(١) رواه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ (٤٩).

ألا فليتق الله الدعاة، وأهل المنابر في جميع ما يأتون، ويذرون، ألا وإن من تقوى الله أن يراقب كلٌ منا نفسه في كل كلمة يقولها، ولفظة يتلفظ بها، وليعلم أن جميع ما يصدر عنه محصى عليه، ومسجل في كتاب، لايغادر صغيرة، ولا كبيرة إلا أحصاها.

إن من الناس من يتكلم بالكلمة لايلقي لها بالاً، فَتُحِدْثُ في نفوس المستمعين ما لم يكن بالحسبان، وقد تكون تلك الكلمة تحمل في تضاعيفها حقاً، وصواباً، لكن المتلقي لها قد لايستوعبها استيعاباً جيداً، فتعرضه للخطأ، والوقوع في الفتنة، فلربما نظر إلى جزء منها، وغفل عن النظر إلى الجزء الآخر، وقد يأخذ ما فيها من حُكْمٍ، أو موقف، دونما نظر إلى ما قُيِّدَ به ذلك الحكم من شروط، أو محترزات، ولاسيما إذا كان المتلقي لها ممن لا حَظَّ له من العلم، مما يحتم على من يتصدى لتوجيه العامة أن يكون دقيقاً في عباراته، واضحاً في مقاله، بعيداً عن مواطن اللبس، ومواضع الإشكال، والتركيز على الأولويات والمحكمات، والانتقال في الخطاب الدعوي من التعميم إلى التخصيص، ومن الإطلاق إلى التقييد، ومن الخطاب العاطفي الانفعالي إلى الخطاب العلمي الموضوعي، المستند على آيات التنزيل، وقواعد الشرع، وكلام العلماء المعتبرين.

إن لغة الوعظ والتوجيه ليست كلغة التدريس، والمتلقي هنا ليس كالمتلقي هناك، وفي الأثر: **(ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان**

لبعضهم فتنة)[١] (حدثوا الناس بما يعقلون أتريدون أن يكذب الله ورسوله)[٢].

ضرورة مراجعة الدعاة

لأساليب الخطاب الدعوي ومضامينه

إنه ليس من العيب، ولا من النقص أو الضعف، أن يراجع الداعية أسلوب خطابه، ليتحسس ما قد يوجد فيه من خلل في اختيار الكلمات، أو في أسلوب العرض، فضلاً عن المضمون والمحتوى، بل إن هذه المراجعة - في حقيقة الأمر - مظهر من مظاهر الرشد، وأمارة من أمارات الوعي، وعلى هذا فإن من واجب الوقت وضرورته: مراجعة الخطاب الدعوي أسلوباً ومضموناً، على مستوى الداعية بمفرده، والدعاة بمجموعهم، والاستفادة من كل نقد يوجه للخطاب الدعوي، مهما كان مصدره وباعثه؛ فإن الحق ضالة المؤمن، مهما وجده فرح به، وخضع له.

---

(١) أخرجه مسلم في المقدمة عن عبدالله بن مسعود ﷺ موقوفاً (١/١١).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٧) عن علي ﷺ موقوفاً.

والأصل في هذا كله: هدي النبي ﷺ حيث أعرض عن قتل المنافقين خشية أن يظن خلاف ما عليه الأمر، وأن محمداً يقتل أصحابه، ومن ذلك تركه ﷺ نقض الكعبة وبناءها على قواعد إبراهيم خشية افتتان الناس بذلك؛ لكونهم حدثاء عهد بكفر، ولهذا بَوَّبَ البخاري رحمه الله على حديث عائشة، وعدم نقضه ﷺ للكعبة بقوله: «باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه، فيقعوا في أشد منه»، الفتح (١/٢٢٤).

إن هذه المراجعة للخطاب الدعوي ليس المراد بها تحريف الدين، وتبديله، أو التنازل عن شيء من أحكامه، أو تذويب الأحكام الشرعية، وتمييعها، أو تطويعها للواقع وضغوطه، وإنما المراد بها: ترتيب الأولويات، والتأصيل الشرعي للمواقف والقضايا، والتفريق بين القطعيات والظنيات، وما يسوغ فيه الخلاف، وما لا يسوغ، والوضوح في الطرح، والبعد عن الغموض والتعقيد، ومراعاة الظروف، والأحوال، فيما له تأثير في الأحكام، وتناول كل فريق من الدعاة ما يحسنه، ويتقنه من الموضوعات.

وكل ذلك مما يحتاج معه الدعاة إلى علم متين، وفقه دقيق بنصوص الشرع، وقواعده، ومقاصده، وإلا أضحت مسألة المراجعة للخطاب الدعوي مسخاً له وتشويهاً، كما هو الحال عند بعض من ينادي بهذه القضية في هذا الزمن.

إن من المراجعة المطلوبة للخطاب الدعوي أن يكون الدعاة صرحاء في معالجتهم لهذا المنهج المنحرف - منهج الغلو - لتكون كلمتهم واضحة لا غموض فيها ولا لبس، وأسلوبهم جازماً، بعيدا عن الاستثناءات، والترددات.

إننا بحمد الله - عز وجل - في بلد مسلم، وتحت ولاية شرعية عقدها أهل الحل والعقد، ومن ثم فالواجب الخضوع لها، والسمع والطاعة لولاتها في المعروف، والحذر من الخروج على ولي الأمر المسلم، وإخلاص النصح له، وإعانته على إقامة الدين وحراسة الملة، وذلك كله استجابة لأمر الله، وأمر رسوله ﷺ، قبل كل شيء، وتحقيقاً - بعد ذلك - للمصالح الشرعية المرجوة من وراء ذلك، ودرءاً للمفاسد المترتبة على الإخلال بهذا الأمر.

(على المرء المسلم السمع والطاعة، فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)[١].

(عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك، ومنشطك ومكرهك، وأثرة عليك)[٢].

(بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرةٍ علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم)[٣].

(اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة)[٤].

(من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم، أو يفرق جماعتكم فاقتلوه)[٥].

(وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم)[٦].

إنها نصوص صحيحة، صريحة، واضحة، لا تحتاج إلى مزيد تأمل في فهم دلالاتها وإدراك مقاصدها، إنها تمثل حرص هذه الشريعة على تحقيق الأمن

(١) أخرجه مسلم (١٨٣٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٣٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (١٧٠٩) من حديث عبادة من الصامت رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٧١٤٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٥) أخرجه مسلم (١٨٥٢) من حديث عرفجة رضي الله عنه.

(٦) أخرجه أحمد (٨٧٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

للمجتمع المسلم، وتجنيبه ويلات الصراعات، والانشقاقات، وما يترتب عليها من إزهاق للأرواح وسفك للدماء، كما تمثل في الوقت نفسه العلاقة المثمرة بين الراعي والرعية المبنية على السمع والطاعة في المعروف من جهة، وبذل النصح والرأي السديد لولي الأمر من جهة أخرى.

وعلى هذا فلا تلتفت بعد ذلك إلى أهل الأهواء، وقاصري النظر - وإن تزيوا بزي الإصلاح والغيرة - ممن يصورون هذه المعاني الشرعية على أنها نوع من السلبية، بل هي الرشد عينه، ومن تأمل - بحق - واقع المجتمعات الإسلامية على مدار التاريخ، والتي اختفت عن حياتها السياسية هذه المعاني العقدية، في التعامل مع ولي الأمر المسلم، يدرك بوضوح صحة ذلك، ورحم الله ابن المبارك العالم المجاهد إذ يقول:

إن الجماعة حبلُ الله فاعتصموا   منه بعروته الوثقى لمن دانا
لولا الخلافة لم تأمن لنا سبل   وكان أضعفنا نهباً لأقوانا[1]

إن مسألة الإمامة، والولاية، ليست من المسائل الفرعية، التي يمكن لآحاد طلبة العلم، فضلا عن العوام، وأشباه العوام، الخوض فيها بتقرير انعقادها، أو انتقاضها، بل هي مسألة كبرى تتعلق بها كثير من المصالح الشرعية والدنيوية.

إن على الدعاة أن يرفعوا أصواتهم بهذه المعاني، والحقائق بكل وضوح، وصراحة، دون تردد أو استثناء، لا مجاملة، ولا تصنعاً، ولا تكلفاً، ولكنها

---

(١) بهجة المجالس ١/ ٣٣٢، بدائع المسالك ١/ ١٠٨.

الحقيقة الشرعية التي يجب إعلانها، والجهر بها، أداءً للأمانة، وقياماً بالواجب، وتوضيحاً للحق، وكشفاً للبس، وحماية للجماعة، ليحيى من حيى عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة.

إن على الدعاة والمربين وهم يخاطبون الشباب أن يضعوا النقاط على الحروف، و ألا تكون كلماتهم حمالة أوجهٍ يفهم منها كل شخص ما يحلو له أن يفهمه.

ضعف التفاعل في نقد الغلو.. لماذا؟

إن من الخطأ البين أن يتعلل بعض الدعاة - في ضعف تفاعلهم مع نقد هذا الفكر المنحرف، وحملته - بعدم مقدرتهم على نقد الانحراف الآخر، المتمثل في أفكار العلمنة، والتغريب، التي يتبناها بعض أبناء المجتمع، وينافحون عنها، ويكافحون في نشرها، وتلك حجة باطلة، وعلة واهية؛ إذ ليس هناك تلازم عقليٌّ، أو شرعيٌّ بين نقد الانحرافين، فالعبرة — لو سلم بذلك العذر — في التكاليف الشرعية بالقدرة، والاستطاعة، وإنما يؤاخذ الإنسان على تقصيره فيما يقدر على فعله، لا فيما يعجز عنه، ونجاح الإنسان في نصحه، وتأثيرُه في نقده، وقبولُ الطرف الآخر منه، منوطٌ - بعد إخلاصه لربه عز وجل - في صدق لهجته، وصفاء سريرته، وحسن طريقته، والأمر من قبل، ومن بعد لله عز وجل، القائل لنبيه ﷺ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦]، ثم من يمنع هؤلاء الدعاة من توجيه النقد للأفكار التغريبية، والأطروحات اللبرالية، وبيان فسادها، وخطرها، وآثارها

السيئة على الفرد والمجتمع، ومناقضتها لمبادئ الشرع، وثوابته، من خلال الوسائل والمنابر المتاحة، والأساليب والطرق الشرعية.

وعلى هذا فإن نبذ العنف، والتحذير من الغلو، والموقف الصريح من جماعات الغلو والتكفير، يجب أن يكون واضحاً لدى المتلقين عن الدعاة، كما هو الحال بالنسبة لمنهج التمييع والتغريب، فكلا المنهجين مرفوض، منبوذ.

هذه رسالة الدعاة، وطلبة العلم، وبخاصة في أوقات الفتن، وانتشار الشبه، يؤدي الدعاة هذه الرسالة دون مواربة، أو نظر لرغبات الجمهور، أو خضوع لتأثير الجماهير، وضغط الأتباع، وعواطف العامة، وخوف النقد والتصنيف.

إن عالم الملة، والداعية الرباني هو الذي تحركه قناعاته الشرعية، وحجج الكتاب والسنة، ومصالح الأمة التي جاءت بها الشريعة، دونما نظر إلى اعتبارات أخرى.

لقد آن الأوان للدعاة لتجديد المراجعة، وترسيخ المحاسبة، وبسط النقد، فليس هناك عصمة لغير الأنبياء والمرسلين، ولأن يلقى المسلم، أو الداعية، ربه عز وجل، وليس في عنقه، ولا ذمته، إراقة دماء معصومة، ولا إثارة فتنة تتفرق بها جماعة المسلمين، خير له في عاجل أمره وآجله، من كلمة يرضي بها عواطف العامة، ويكسب بها إعجاب الجماهير، وقد تكون سبباً لحصول مفاسد عظيمة، وإذكاء فتن خاملة، والموفَّقُ من عصمه الله .

دعوة لمواصلة الجهود في توجيه الشباب وتربيتهم على الحق وحمايتهم من الغلو والانحراف

إنها دعوة للمراجعة، ونداء للمحاسبة، للوقاية من العثار، وهي في الوقت ذاته دعوة لمن شرفهم الله عزوجل بالقيام بمهمة الدعوة، ومسؤولية البلاغ، ونشر الخير والفضيلة، ومكافحة الفساد والرذيلة، والعناية بتربية الشباب وتوجيههم، دعوة لهم إلى مواصلة العمل، وبذل مزيد من الجهد لإصلاح المجتمع، وحماية الشباب من أفكار الغلو والجفاء، والإفراط والتفريط، وحراسة المحاضن التربوية في المدارس، وحلق تحفيظ القرآن الكريم، والمجتمعات الدعوية، والمراكز الصيفية، من أن يتسلل إليها كل صاحب بدعة، أو كل صاحب منهجٍ غالٍ.

إننا في وقت تشتد الحاجة فيه إلى مضاعفة الجهد في التوجيه، والنصح، والتربية، والتوعية للشباب بخاصة، ولفئات المجتمع بعامة، وذلك لعظم التحديات التي نواجهها، والمخاطر التي تتهددنا في عقيدتنا، وأخلاقنا، وثوابتنا، وأمننا.

إن هذه البلاد وأهلها - بحمد الله عز وجل على منهج الاعتدال والوسط، وسيظل الأمر كذلك إن شاء الله، ومسؤولية المحافظة على ذلك مسؤولية الجميع، من ولاة، وعلماء، ودعاة، ومصلحين، وأهل رأي ومشورة، ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [هود: ١١٢]، ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ﴾ [الشورى: ١٥].

ومهما ثبط المثبطون، وشكك المشككون، فالمؤمَّل أن يبقى الدعاة أوفياء لمنهج هذه البلاد المباركة، القائم على الكتاب والسنة، حريصين على حماية المصالح العامة للبلاد والعباد، مدركين لمسؤولياتهم في تحقيق ذلك كله.

أهمية التعاون على الخير والاجتماع عليه والتحذير من التحزب والتفرق

إن الاجتماع على الخير، والتعاون عليه من مقاصد هذه الشريعة المباركة التي رغبت في الاجتماع، وحذرت من التفرق، حتى على الأكل، والسير في السفر، فإن يد الله مع الجماعة و(**إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم، يأخذ الشاة القاصية والناحية**)[1].

إن الدعوة إلى الله، وتنظيم الأعمال فيها، وترتيب الجهود لها، مطلب شرعي، يزداد تأكده في هذا الزمن الذي تعددت فتنه، وتنوعت ضلالاته وانحرافاته، وقويت فيه دعاية الباطل وأهله، والله – عز وجل – يقول: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢]، والأمة بمجموعها مخاطبة بذلك على مختلف المستويات، لكن ذلك كله – وأيم الله – لا يقتضي تفريقاً لجماعة المسلمين، ولا انحيازاً عنهم باسم، أو رسم، ولا خروجاً عن الطاعة، لولي الأمر المسلم في المعروف، ولا تحزبا على الرايات والشعارات، ولا عقداً

(١) كما في حديث معاذ ﷺ الذي خرجه أحمد في المسند (٢٢٠٢٩).

للولاء والبراء للتجمعات، ولا سلوكاً لمسلك الإثارة، وتأجيج عواطف العوام، ولا انعزالاً عن المجتمع، وتدثراً بالسرية في المبادئ والتوجهات.

ومتى صاحب الدعوة إلى الله شيء من ذلك، فإن الدعاة يحرمون أنفسهم خيراً كثيراً، في تفاعل المجتمع معهم، والإسهام في تقويم طريقتهم، وتوجيه مسيرتهم، وانكفاء الدعاة بذلك على أنفسهم في أطر ضيقة، ضعيفة الأثر، تسهم في إثارة الريبة حولهم، وجميع ذلك مفاسد ظاهرة، تعود بالنقض على المقصود الرئيس من الاجتماع، والتعاون على البر والخير.

وهل يصح أن يكون الفرع هادماً للأصل؟ أو هل يسوغ أن تتحول الوسيلة إلى هدف مناقض، أو مزاحم للهدف الذي جعلت وسيلة إليه؟.

إن الدعاة بأمس الحاجة لا إلى النظر في هذه الحقيقة - فما أظن عاقلا ينازع فيها - وإنما هم بحاجة إلى التأمل العميق، والنظر الدقيق في التصرفات، والأقوال، والمواقف، وأساليب التربية، ووسائل الدعوة وبرامجها، التي من شأنها أن توصل إلى تلك النتيجة، أو توقع في تلك المفاسد، والعمل على تنقيتها من كل شائبة تحزب، أو تفرق، إذ ليس كل قديم بالضرورة يكون سليماً، وليس من لازم ما كان سليما في وقت أن يكون سليماً في جميع الأوقات.

على الرواد من الدعاة، وأهل السبق في الخير، من مسؤولية المراجعة، والتصحيح، وشرف الثبات على الحق، ومواصلة المسيرة، والرجوع عن الخطأ، واحتمال الأذى في ذلك، واحتساب الأجر عند الله، ما ليس على

غيرهم «ومن فتح له باب من الخير فليبادر إليه، وليثبت عليه، فإنه لا يدري متى يغلق عليه»[١].

بارك الله في جهود العاملين المخلصين، وسدد على طريق الهدى والخير خطى الجميع.

الرفق..الرفق..في النصح والنقد

همسة أخرى إلى طائفة من طلبة العلم، والمنتسبين للدعوة، ممن بذلوا نصحهم، وجهدهم في بيان زيف دعاوى أهل الغلو، وكشف ضلالاتهم، وانحرافاتهم، كما حرصوا في الوقت ذاته على بيان ما قد يوجد عند بعض الدعاة من خلل في مناهجهم، أو أساليبهم، لكنْ صاحب ذلك نوع خشونة في الأسلوب، واستفزازٍ في طريقة المعالجة، ومسارعة إلى التصنيف، ومبالغة فيه، وحرص على النكاية لا الهداية، وبعدٍ عن نهج العلماء الربانيين، مما قلل حجم الانتفاع بتلك الجهود، وأضعف من تأثيرها الإيجابي، بل صار لها في بعض الأحيان ردود فعل عكسية، والله - عز وجل - يقول لنبيه ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، والرسول ﷺ يقول: **(إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ماسواه)**[٢].

---

(١) الكافي لابن عبدالبر ٢/١١٤٤.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٩٣) من حديث عائشة رضي الله عنها.

إن الإدانة وحدها لا تثمر، ومجرد التشهير والنكاية فن يجيده كثيرون، والنقد لمجرد النقد يوغر الصدور، ولا يحقق المقصود، «وأبغض الخلق إلى الله وأبعدهم من رسول الله ﷺ ... الملتمسون لأهل البر العثرات»[1].

وأقبح من ذلك وأشنع أن يُتَّخَذَ الحديث عن هذا الموضوع وسيلة للإساءة إلى الآخرين، وإلحاق الأذى بهم، أو التأليب عليهم، أو سُلَّماً لتحقيق مكاسب مادية، ومآرب شخصية، وتلك والله من القواصم و**(ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا، مع ما يدخره له في الآخرة، مثل البغي، وقطيعة الرحم)**[2]، والموعد القيامة، يوم يبعثر ما في القبور، ويحصل ما في الصدور.

عوامل للنجاح في المهمة

إننا أمام خطر عظيم، ومهمة التصدي له مهمة الجميع، لكن لن تفلح الجهود في ذلك - على تنوعها - إلا إذا صاحبها إخلاص لله - عز وجل -، وفرح بظهور الحق ولو كان على غير أيدينا، واستبشار بتصحيح المنهج، والرجوع إلى الحق، من غير أن يُشترط لذلك اعتراف المخطئ بخطئه - وإن كان ذلك شجاعة ومنقبة - وتغليبٌ للمصلحة العامة، وتجرد للحق، وبعد عن حظوظِ النفس، وتصفيةِ الحسابات، ومحبةِ الظهور والغلبة، بل تنافسٌ

(١) الكافي لابن عبدالبر ٢/١١٤٣.

(٢) أخرجه أبوداود (٤٩٠٢)، والترمذي (٢٥١١)، وابن ماجه (٤٢١١) وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

يحقق التكامل، ويحفز على الإبداع والتنوع، لا تحاسد وتباغض، وتدابر، وتراشق بالسباب، والشتائم.

لابد أن تتضافر جهود الدعاة، وطلبة العلم في البحث عن مخرج من هذه الفتنة العظيمة، التي شوهت صورة الإسلام، وعطلت مسيرة الدعوة، وَجَرَّأَتْ أهل الأهواء، ودعاة الباطل.

إنه لا يمكن لأحد أن يدعي أنه يملك الحل وحده دون غيره، أو أن جميع الحلول المقترحة فاشلة إلا الحل الذي يقترحه، بل كل أحد من المعنيين بالأمر بمقدوره أن يسهم في إيجاد الحل المناسب، بل والمشاركة في الحل، في حدود قدرته واستطاعته، وما يحسنه من جوانب الحل.

ومتى ما خلصت النيات، ونسقت الجهود، فلن يعدم من يهمهم أمر الدعوة، ومصلحة بلادهم، ومجتمعهم، من حل لهذه المشكلة، يقف - بصراحة ووضوح - على أسبابها، وبواعث حدوثها، ويقدم- بموضوعية تامة - الحلول الشرعية لها .

إننا أمام هذه المشكلة الخطيرة بحاجة إلى مشروع دعوي متكامل، يستهدف جميع فئات المجتمع، ويسهم في تفعيله: العلماء، والدعاة، وطلبة العلم، والمؤسسات الرسمية، والأهلية، يرسخ هذا المشروع المنهج الشمولي للإسلام في نفوس أفراد المجتمع، ويربيهم على معاني

الوسطية والاعتدال، المبنية على نصوص الكتاب والسنة، وفهم الصحابة والتابعين وأهل العلم المعتبرين[1].

ولن يتحقق ذلك على الوجه الأكمل، ما لم تتضافر جهود العلماء والدعاة، مع جهود المسؤولين والولاة، في تعاون مثمر تقدم فيه المصلحة العامة، على المصالح الفردية، ويتحقق من خلاله: نصرة الدين وإعزازه، وحراسة الملة والشريعة.

هذا ما يؤمله كل مسلم، وما ذاك على العلماء، وطلبة العلم، وجميع من يهمهم الأمر بعزيز، والموفق الله عز وجل.

ومتى تم وضع هذا المشروع الدعوي، فإننا بمشيئة الله ـ عز وجل ـ نكون قد وضعنا أولى خطواتنا على الطريق الصحيح في التعامل مع ظاهرة الغلو، وكل تأخر في إنجاز هذا المشروع يسهم في تعميق المشكلة وتعقيدها.

---

(١) إذ ليست الوسطية والاعتدال ألقاباً يمنحها كل أحدٍ لمن شاء، ويسلبها عمن يشاء، كما هو الحال عند بعض الناس، الذين جعلوا من هذه الألفاظ أوسمة مدح لمن يوافقهم في آرائهم، وتصوراتهم، وأهوائهم، كما جعلوا أضدادها أسلحة وسياطاً يشهرونها في وجوه مخالفيهم، بعيداً عن نصوص الشرع وقواعده، حتى غدا – عند هؤلاء القوم – تمييع الأحكام اعتدالاً، ولزوم السنة تشدداً، وتنطعا.
إن الحق الذي لا محيد عنه أن يعتقد المسلم أن تعاليم الإسلام وأحكامه – المنصوص منها، أو ما استنبطه علماء الشريعة الراسخون – هي الوسط والاعتدال، وما عداها من شواذ المسائل وغرائبها، فضلاً عن ما تفرزه عقول أهل الأهواء هي الغلو والجفاء، وإن زخرفت، ودبجت بالشعارات البراقة، والكلمات الرنانة، والله وحده المستعان.

فنسأل الله عزوجل أن يوفق العلماء، والدعاة وطلاب العلم للقيام بواجبهم في النصح والبيان، ويعينهم على تقديم ما تبرأ به ذممهم، ويخلص للجميع النيات والمقاصد، ويؤلف بين القلوب، ويجمعها على الهدى والحق، ويقيها شر التفرق، والاختلاف.


تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

بصائر إلى

الإعلاميين والمثقفين


تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

نداء إلى الإعلاميين والصحفيين والمثقفين

نداء إلى فئة من الصحفيين والإعلاميين والمثقفين ـ وهم قلة بحمد الله في هذا المجتمع المبارك ـ جعلوا من أحداث هذه الفتنة وتداعياتها وسيلة للطعن في ثوابت الأمة، والسعي نحو تغريبها، والتشكيك في كل ماله علاقة بالدين من مؤسسات المجتمع الرسمية والأهلية، أو المناشط الدعوية، نذكرهم في هذا النداء بأن الإسلام هو قدر هذه البلاد المباركة، منذ أن انبثق فجر الإسلام من رحاب مكة المكرمة، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، حيث لم يكن لهذه الجزيرة ولن يكون لها وجود يذكر بغير رسالة الإسلام والقرآن، ففي القديم إنما عزت هذه الجزيرة ببعثة محمد بن عبدالله ﷺ، وفي الزمن القريب وبعد عقود من الضعف والتفرق، سطع نجم هذه الجزيرة، بعد الدعوة الإصلاحية التجديدية، التي قام بها الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب، وآزره وعاضده عليها الإمام الصالح محمد بن سعود - رحمهما الله -.

ليتذكروا حال مجتمعات أخرى من مجتمعات المسلمين حرص إخوانهم في المنهج على تغريب تلك المجتمعات، وإبعادها عن دين ربها، وسنة نبيها ﷺ والسعي الحثيث لنشر قيمٍ، وترويج مفاهيم تتعارض وشريعة الإسلام، وبذلوا في ذلك جهوداً عظيمة على مدى عقود من السنين، وسلكوا لأجله شتى السبل، وحققوا لهم في ذلك نجاحات متعددة، على صُعُدٍ مختلفة، نظراً لواقع تلك المجتمعات في تلك الأزمنة، ولكنها - بحمد الله - على الرغم من ضخامتها لم تحقق المقصود منها، فبقي الإسلام عزيزاً في نفوس أبنائه، لا يبغون عنه بديلاً، ففي كل مرةٍ يتاح

فيها للمجتمعات الإسلامية التعبير عن خيارها بكل نزاهة، ومصداقية تكون النتائج تعبيراً صادقاً عن مدى حبها العظيم لدينها، وشريعة ربها.

فهاهي قوافل العائدين من مختلف فئات المجتمع تعلن للملأ رفضها لحياة التغريب والضياع.

تعلن للملأ تمسكها بدين ربها، ورغبتها في العيش في ظلال طاعته سبحانه.

تعلن للملأ ألا حياة لها إلا بالإسلام، رأينا ذلك في انتشار مظاهر الحجاب، والتمسك بالسنة، والمطالبة بتحكيم الشريعة الإسلامية، والتعاطف القوي مع كل من يحمل راية الإسلام، في بلدان عديدة في العالم الإسلامي، التي كان لدعاة العلمنة، والتغريب فيها صولات وجولات.

إننا ننادي هؤلاء الإعلاميين والمثقفين باسم الإسلام بأن يكونوا أوفياء لدينهم، أنصاراً لعقيدتهم، حماة لبلادهم، وألا يكونوا أداة طيعة في أيدي الأعداء الذين يتربصون بالإسلام، وبلاد الإسلام الدوائر.

ليأخذوا من أحداث التاريخ عبرة، فكم وقف في وجه الإسلام من أقوام، وكم ابتليت المجتمعات الإسلامية في الداخل ببعض أبنائها ممن مدوا أيديهم للأعداء، فذهب أولئك الأقوام، وماتت دعواتهم، وصاروا سُبَّةً في صحائف التاريخ، وبقي الإسلام شامخا كالطود الأشم لم تؤثر فيه الرياح العاتيات، وأصبح حالهم والإسلام كقول الأول:

كناطحٍ صخرةً يوماً لِيُوهنَها فَلَمْ يَضِرْهَا وأوهَى قَرْنَهَ الوَعِلُ

نناديهم مرة أخرى بأن يتحملوا مسؤوليتهم في الدفاع عن دينهم، وحماية بلدهم في هذا الوقت الحرج، وألا تكون كتاباتهم، ومقالاتهم، وبرامجهم، مما يزيد الغلو غلواً، والفتنة اشتعالا .

نذكرهم بأن من مقتضيات الإيمان الصادق: الإذعان الكامل، والانقياد التام لأمر الله عز وجل وأمر رسوله ﷺ، وعدم التردد في ذلك، أو الشعور تجاههما بالحرج والكراهية، كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]. وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦] وقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥]

إننا نرثوا لحال بعض المثقفين والإعلاميين الذين لا أثارة لهم من علم الكتاب والسنة، ونشفق عليهم يوم نرى منهم الجدال بالباطل، والمحاجة في دين الله عز وجل من بعد ما استجيب له، والطعن في الثوابت، والتشكيك في المسلمات، والبحث عن شواذ الأقوال والآراء، وغرائب المسائل، والحرص على نشرها، والسعي لترويجها، ونصب الخلاف لأهل العلم، والتصدي لمعارضتهم، والسعي للتهوين من شأن كثير من المبادئ والقيم الإسلامية، بدعاوى عريضة لا زمام لها ولا خطام.

أما آن لهؤلاء القوم أن يتذكروا وقوفهم بين يدي الله عز وجل، وسرعة مفارقتهم لهذه الدنيا، وسؤال الله لهم عن كل ما خطت أناملهم وسودت أقلامهم.

ألم يسمعوا قول ربهم عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ [الشورى: ١٥ـ ١٨].

فيا له من تهديد، ووعيد لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد.

احترام التخصص

إننا نطالب هؤلاء الكتبة والإعلاميين وغيرهم ممن سلك مسلكهم مراعاة التخصص واحترامه، إذ ليس من المنطق، ولا من المعقول أن ينادى باحترام التخصصات في كافة العلوم والفنون، بينما تظل علوم الشريعة ساحة لكل متحدث، وكاتب، وإعلامي أيًّا كان تخصصه، وأيًّا كان حظه وبضاعته من العلم الشرعي، بل ومستواه التعليمي، وكأنَّ دين الله يعرف بالتجارب، والتخمينات، والظنون.

إن العجب لايكاد ينتهي من أقوام لم يعرفوا بدراسة علوم الشريعة، يُقْدِمُ الواحد منهم وبكل جرأة على التحليل والتحريم، والترجيح، والتضعيف، في مسائل يتورع كبار العلماء أحياناً عن الجزم فيها برأي.

إن الإبداع في علم الطب لايعني بالضرورة الإبداع في علم الهندسة، وإجادة الكلام في علم اللغويات، والصوتيات لا تمنح الإنسان امتياز الحديث في كل فن وعلم، وتحصيل الشهادات، والألقاب الأكاديمية، والاجتماعية، لا تخول كل أحد الحديث في علوم الشرع وأحكامه، ومقدرة الإنسان على الكتابة والتحرير، والتحدث والمحاورة، ليست المؤهل له للخوض في مسائل الدين والشريعة، بل حتى مجرد مطالعة الكتب الشرعية، من غير تلقٍ على أيدي العلماء، ومعرفة بمناهج الفقهاء، وطرائقهم في الاستدلال والاستنباط، والترجيح والمناقشة، ليست وحدها كافيةً في تملك المقدرة في تقرير المسائل الشرعية، فضلاً عن الترجيح والتصويب، وإنما ذلك كله مهمة العلماء الراسخين، الموقعين عن رب العالمين.

إنه وإن لم يكن لدينا نحن المسلمين رجال دين بالمصطلح الكنسي؛ - لأن المسلمين كلهم رجال لهذا الدين، وحماة له، وأحكام الإسلام عامة لكل مسلم ومسلمة - إلا أن في ديننا وشريعة ربنا أهل ذكر، وأهل علم، أمرنا الله عز وجل بسؤالهم، والرد إليهم في دقيق الأمر وجليله من أمور الدين، كما في قوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ [النساء: ٨٣].

أولئك هم ورثة الأنبياء الذين قال فيهم النبي ﷺ: **(يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين)**[1].

حراسة الدين بالحجر على المتعالمين

إنه إذا كان الحجر على المتطبب الجاهل ونحوه ممن يتعاطى مهنة ليس من أهلها أمراً متعيناً في العرف، والنظام، وقبل ذلك في الشرع المطهر، فإن الحجر على أولئك الخائضين في أمور الدين، وقضايا الشرع، ممن ليسوا من العلماء ولا من حملة العلم الشرعي، آكد وألزم، بل هو واجب من واجبات الشريعة، ومسلك من مسالك حراسة الدين والمحافظة عليه ؛ لأن غاية ما يفسده المتطبب الجاهل، وأمثاله، حياة الناس ودنياهم، وأما أولئك الخائضون في الدين والشريعة، والمتسورون لأسوارها فإن ما يفسدونه في حياة الناس أعظم من ذلك بكثير!!.

إنهم بعد أن يفسدوا على الناس حياتهم التي لا تستقيم إلا بالتعبد والخضوع لله، يفسدون عليهم ما هو أعظم من ذلك، يفسدون دينهم، وعقيدتهم التي لا قوام للإنسان في هذه الحياة إلا بها، ولا نجاة في الآخرة إلا بالعمل بموجبهما، ولهذا فإن الواجب على كل من بسط الله يده من الولاة ونوابهم، الأخذ على أيدي كل معتد على الدين وأحكامه، غيرة لله، وتعظيماً لحرماته، وقياماً

---

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل (١/١٥٢) والبزار كما في مجمع الزوائد (١/١٤٠) والبيهقي في دلائل النبوة (١/٤٤) والخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث (٢٨)، ونقل عن الإمام أحمد تصحيحه للحديث، ص(٢٩).

بالمسؤولية، وسداً لذريعة التطاول على الدين ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١]. والمنصور من نصر دين الله، والمخذول من أعرض عنه، وأما دين الله فإنه محفوظ، منصور بحفظ الله له، وتأييده إلى قيام الساعة.

رسالة القلم

نقول لهؤلاء الكتبة والإعلاميين: إن أمامهم مجالات في الحياة عديدة، فليسخروا أقلامهم، وألسنتهم، وبرامجهم للتوجيه فيها، وتقويمها، والتنبيه على مواضع الخلل فيها، والناس بأمس الحاجة إلى من ينبه على مشكلاتهم، ويطرح همومهم، ويقدم الحلول والمقترحات لها، وهم في ذلك مأجورون مثابون عند الله، ومشكورون عند الناس، متى ما أخلصوا لله في كتاباتهم، وحرصوا على النقد الهادف، الذي تتحق معه المصالح، وتدرأ به المفاسد، مع الحرص على اجتماع الكلمة، ووحدة الصف، والبعد عن التجريح والتشهير.

نهمس في أذن كل كاتب وإعلامي بأن ينأى بنفسه عن الخوض في دين الله بغير علم، وأن لا يجعل من مسائل الدين وأحكام الشريعة وسيلة للتعريف بنفسه، واشتهار أمره، إذ الحديث في أمور الدين، والجرأة على التحليل والتحريم ليس كالحديث في أمور الدنيا والله - عز وجل - يقول: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

والمظنون بكل مسلم الاستجابة لأمر الله، وأمر رسوله ﷺ، والحذر من مخالفتهما، فإن أبى أولئك الإعلاميون والكتبة إلا خلاف ذلك، فوالله لن يضروا إلا أنفسهم، ولن يضروا دين الله شيئا، فدين الله محفوظ منصور، والإشفاق عليهم هم أنفسهم من تبعات كل باب شر، وفساد، فتح على المسلمين بسببهم، وكل جاهل تأثر بكتاباتهم وطروحاتهم، ليستحضروا قول الله – عز وجل –: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥] وقوله ﷺ: **(ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً)**(١) وقول الله سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَـٰذَا حَلَـٰلٌ وَهَـٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ١١٦-١١٧].

والله وحده المانُّ بالهداية على من شاء من عباده ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧] ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٤١].

نسأل الله للجميع الرشد، والهداية، والبعد عن أسباب الغواية، والتوفيق لصالح القول والعمل.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

بصائر
في السنن الربانية


تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

سنن ربانية

إن من الحقائق التي يجب التذكير بها، والعمل بموجبها، في ظل الفتن التي تمر بالمجتمعات المسلمة، السنن الربانية في سير المجتمعات والأمم، وتقدمها وتأخرها، وعزها وذلها، وقوتها وضعفها، واجتماعها وتفرق شملها؛ هذه السنن التي كثيراً ما يلفت القرآن الكريم الأنظار إليها، للاهتداء بها والسير في نظامها ومن هذه السنن:

التلازم بين العمل الصالح بمفهومه الشامل في العقائد، والعبادات، والأخلاق والسلوك، وسائر التصرفات والمعاملات، وبين التمكين في الأرض وبسط اليد، ورسوخ الملك والسلطان، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

التلازم بين تحقيق التوحيد لله رب العالمين، والبعد عن الإشراك مع الله غيره في شتى صور التعبد والتقرب، واجتناب البدع، وبين ذيوع الأمن، ورسوخه على الأنفس، والأموال، والأعراض، بمختلف صوره، وأشكاله ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

التلازم بين الاستجابة لأمر الله وأمر رسوله ﷺ، والانقياد لهما، وتحكيمهما في دقيق الأمر وجليله، وبين تحقق الحياة الهنية الرضية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤].

التلازم بين حسن التعبد لله عز وجل بما يحبه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، وبين تحقيق السعادة وتحصيل الطمأنينة في الحياة الدنيا وفي الآخرة. ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةًۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]. ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣].

التلازم بين انتشار المعاصي والمخالفات الشرعية، وفشو المنكرات على اختلاف درجاتها، وبين وقوع المصائب والبلايا على اختلاف أنواعها ومستوياتها، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٥-٦٦].

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

التلازم بين الائتلاف واجتماع الكلمة على الحق، وتحقيق الظفر والنصر على الأعداء من جهة، والتلازم بين التنازع والتفرق في الدين وحصول الفشل

وذهاب الريح من جهة أخرى، ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

إنها حقائق يقينية لا تقبل الجدال والنقاش، ولا يتطرق إليها الشك، إنها سنن ربانية، كل من اهتدى بها وعمل بمقتضاها تحقق له المقصود، وكل من خالفها أصابه من الجزاء بحسب مخالفته.

لما فتحت قبرص، وكان مع الجند أبوالدرداء ﷺ وجيء بالأسرى، بكى أبوالدرداء، فقال له جبير بن نفير: «أتبكي وهذا يوم أعزَّ الله فيه الإسلام وأهله؟»، فقال أبوالدرداء ﷺ: «ويحك! إن هذه كانت أمةً قاهرةً لهم ملكٌ فلما ضيعوا أمر الله صيرهم إلى ما ترى...» ثم قال: «ما أهون العباد على الله تعالى إذا تركوا أمره»[1].

هكذا فهم الصحابة والسلف الصالح هذه السنن، وهكذا يجب أن تفسر الأحداث والمتغيرات على ضوئها، من غير ما إهمال وإغفال - في الوقت ذاته - للأسباب المادية، وليس في هذه المعادلة - بحمد الله - شئ من التناقض والتعارض عند أهل الإيمان واليقين.

فهل نعي جميعاً - حكوماتٍ ومجتمعاتٍ وأفراداً - في هذا الزمن الذي كثر فيه المتربصون والحاقدون، هل نعي هذه الحقائق، ونحولها إلى سلوك عملي يحكم حياتنا كلها، وعلاقاتنا بمن حولنا؟.

---

(١) البداية والنهاية ١٠/ ٢٢٩.

إننا إن فعلنا ذلك والتزمناه، تحقق لنا موعود ربنا بالعز والتمكين، والمنعة والنصرة، ولم تستطع أي قوة بشرية مهما عظمت أن تنال منا شيئا ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٣ ـ ١٧٤]، ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

وأما الإعراض عن هذه السنن، وعدم الأخذ بموجبها، فوالله لن تجني الأمة منه إلا مزيداً من الذل والضعف، والتفرق، وتسلط الأعداء، وليس بين الله وبين أحد من خلقه نسب أو واسطة، ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨]، إنها السنن لا تحابي أحداً، بل يخضع لنظامها وسلطانها الجميع، العربي والعجمي، والرئيس والمرؤوس، والغني والفقير، وفي أحداث التاريخ قديمه وحديثه عبرة للمعتبر.

ولله دَرّ السبكي رحمه الله حيث يقول في رائعة أدبية له: «وقد اعتبرت - ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ - فما وجدت، ولا رأيت، ولا سمعت بسلطان، ولا نائب سلطان، ولا أمير، ولا حاجب، ولا صاحب شرطة يلقي الأمور إلى الشرع إلا وينجو بنفسه من مصائب هذه الدنيا، وتكون مصيبته أبداً أخفَّ من مصيبة غيره، وأيامه أصلح، وأكثر أمناً وطمأنينة، وأقل مفاسد. وأنت إذا شئت فانظر تواريخ الملوك والأمراء العادلين، والظالمين، وانظر أي الدولتين

أكبر طمأنينة وأطول أياماً؟ وكذلك اعتبرت فلم أر ولم أجد من يظن أنه يُصلح الدينا بعقله، ويدبر البلاد برأيه وسياسته، ويتعدى حدود الله تعالى وزواجره إلا وكانت عاقبته وخيمة، وأيامه منغصة منكدة، وعيشه قلقاً، وتفتح عليه أبواب الشرور، ويتسع الخرق على الراقع، فلا يسُد ثلمة إلاّ وتنفتح ثُلمات، ولا يرفع فتنة إلا وينشأ بعدها فتن كثيرة، وعلى مثله يصدق قول الشاعر:

نرقّع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع»[1].

---

(١) معيد النعم ومبيد النقم (ص٤١).


تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

خاتمة

البصائر

تذكير

إن الشدائد والمحن التي تمر بالمجتمعات، والشعوب، والدول والحكومات، أمر طبعي على مدار التاريخ كله، لكن أهل الهدى والإيمان لا تزيدهم المحن والخطوب إلا ثباتاً على مبادئهم، ورسوخاً في مواقفهم، ومزيد تمسك بمنهجهم الحق، فيخرجون بعد كل بلية وهم أعظم ثباتاً، وأقوى ثقة بمن بيده وحده الأمر كله، وإليه ـ لا إلى غيره ـ يرجع الأمر كله.

وأما أهل الأهواء، وضعاف الإيمان، فسرعان ما تقودهم المصائب إلى الارتماء في أحضان أعدائهم، طلباً للسلامة والنجاة، لكنهم — بذلك — كالباحث عن الماء وسط السراب، وصدق الله — عز وجل — إذ يقول: ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِيٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥٢]،

لقد مرت هذه البلاد - شأنها شأن غيرها من البلدان - ببعض الفتن، والمصائب في فترات من تاريخها المعاصر، لكنها بحمد الله - عز وجل — وفضله، وعونه، تمكنت من الخروج منها، محافظة على أصولها، وثوابتها التي قامت عليها، وأملنا في الله - عز وجل - أن تتجاوز بلادنا المباركة هذه الغمامة التي تمر بها، وهي أصلب عودا، وأشد تمسكا بمنهجها الإسلامي الذي أسست كيانها عليه.

إن من نعم الله –عز وجل – على ولاة أمر هذه البلاد أن ولايتهم لها انعقدت على وجه شرعي، قائم على الكتاب والسنة، فأهل هذه البلاد يتقربون إلى الله – عز وجل – بطاعة ولاتهم، وأئمتهم في المعروف، ويجعلون ذلك من عقيدتهم التي يعتقدونها في قلوبهم، ويتعبدون الله بالنصح لولاتهم بالقول والعمل، والدعاء لهم بالصلاح والتوفيق، و والله إنها لنعمة يندر وجودها في ولاة هذا الزمن، وإن من واجب شكر هذه النعمة لتدوم وتستمر: مزيداً من الحرص على الاستمساك بالشريعة، وتطبيقها في جميع جوانب الحياة، وحراسة الملة، وسياسة الدنيا بالدين، والعمل على تحقيق المصالح العامة للأمة، وتوفير احتياجاتها، وبسط العدل، ورفع المظالم متى ما وجدت.

ومتى حرست هذه الثغور كلها، فلن يجد الأعداء مهما بذلوا من جهود، ومهما حاكوا من مؤامرات، ودبروا من مكائد، – داخلية وخارجية – لن يجدوا منفذا يتسللون من خلاله للنيل من هذه البلاد، ووحدتها، ومكتسباتها، وأنى لهم ذلك؟ والله سبحانه ولي المؤمنين، يدافع عنهم، وينصرهم، ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨].

الوعي بخطورة الفتن وسؤال الله الثبات على الحق فيها

إن من الفتنة حقا أن تكون هذه الفتن التي تمر بها البلاد في الداخل، وما يحيط بها في الخارج، عاملَ ضغط يُستَجَابُ له في التنازل عن شئ من المبادئ، والأصول التي قامت عليها هذه الدولة المباركة، أو المساس بشئ من منهجها

الإسلامي الرشيد الذي به أصبحت درة في جبين الزمن المعاصر، أو التبديل، أو التغيير في مسيرتها الإسلامية، في جوانب الحياة المختلفة، تحت أي دعوى، ومن خلال أي غطاء ؛ لأن ما عليه هذه الدولة السنية في نظامها، وسياساتها - المحكومة بالنظام الأساس للحكم-، من الحق والهدى والرشد، ليس بعده - والله - إلا الباطل والضلال والسفه، والذي لن تكون عاقبته - لو حصل - عاجلا أو آجلا، إلا خسارة الدنيا والآخرة، وحرمان عون الله وتأييده، ونصره وتوفيقه، والتنازع والتفرق، ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٥٣] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١].

إن قضية التغيير والتبديل في الدين، أو التنازل عن أجزاء منه، قضية تبلغ في الخطورة مداها، ولهذا حذر الله نبيه وخليله محمدا ﷺ منها أشد التحذير، في آيات من كتابه الكريم، وبأسلوب تقشعر منه الجلود؛ لما فيه من التهديد والوعيد، فكيف بغيره ﷺ؟.

﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ۝٤٩ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾

[المائدة: ٤٩-٥٠].

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَـٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٧٣ ـ ٧٥].

﴿ثُمَّ جَعَلْنَـٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَـٰذَا بَصَـٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ١٨ـ٢٠].

فنعوذ بك اللهم من مضلات الفتن، ما ظهر منها وما بطن، ونسألك اللهم لنا ولأولياء أمورنا العزيمة على الرشد، والثبات في الأمر، والاستقامة على الهدى والحق.

أهل العلم أمنة وضياء في ظلمة الفتن

وبعد فلعل من خير ما تختم به هذه البصائر التذكير بما لأهل العلم ذوي البصائر من أثر على المجتمع، لا يقتصر مداه على بيان الحلال والحرام، والتعريف بدين الله - عز وجل - وإنما يتعداه إلى إسهامهم الفاعل، وأثرهم البارز في حل قضايا المجتمع، ومشكلاته، والعمل على غلق منافذ الفتن، وسد طرق الشقاق والنزاع، بما حباهم الله به من علم الكتاب والسنة، وما منحهم من نظر وفراسة يمكنهم ذلك كله من النظر إلى المواقف، والأحداث بمآلاتها وغاياتها، والموازنة بين المصالح والمفاسد المتعددة من جهة أخرى.

ومن أجل هذا كله كان العلماء أحد صنفي أولي الأمر، الذين جاءت النصوص بوجوب طاعتهم، والرجوع إليهم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

غير أن اضطلاع العلماء برسالتهم هذه، وقيامهم بمسؤوليتهم على الوجه الأكمل، يتوقف على جملة أمور عظيمة من تحقيق الإخلاص، وتجريد المتابعة للنبي ﷺ في هديه وتعامله مع الناس على اختلاف منازلهم وطبائعهم، وصدعهم بالحق، ومحضهم النصح لله ولكتابه، ولرسوله ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم، ومشاركتهم المجتمع في همومه وقضاياه.

ألا وإن من أعظم ما يكون له الأثر في إعانة العلماء على القيام بواجبهم: إسهام جميع فئات المجتمع من ولاة، وأهل شأن، وطلبة علم، ودعاة، وعامة، - إسهامهم - في تعزيز مكانة العلماء، وترسيخ منزلتهم، وإعلاء شأنهم، وتنزيلهم المنزلة التي بوأهم الله إياها، ومن أجلى مظاهر ذلك كله، وأوضح صوره، الاستماع لنصحهم، والقبول لتوجيههم، والصدور عن رأيهم في دقيق الأمر وجليله، من أمور الدين والشريعة، والحذر من الافتيات عليهم، وكلما كانت الأمة كذلك مع علمائها، كلما كان أثرهم في المجتمع أعظم وأبلغ، وتأثير نصحهم في القلوب أنفذ وأوقع، وبقدر ما يحدث من الأمة من خلل في هذا الشأن، أو تتخذه من مواقف تُحَجِّمُ بها دور العلماء في مسائل وقضايا معينة، يضعف تبعا لذلك تأثير العلماء في مجتمعهم، وشواهد التاريخ تنطق بهذه الحقيقة، فكلما وجد العالِم ذو المكانة العالية في مجتمعه كلما عظم تأثيره، وكان أسرع في قبول العامة لنصحه وإرشاده.

إن مسؤولية إعانة العلماء على القيام برسالتهم مسؤولية الجميع، ومن ثم فالجميع يجنون ثمار القيام بها، استجابة لأمر الله، وأمر رسوله ﷺ أولاً، كما يجنون ثمار ذلك خيراً ورشاداً في الدنيا والآخرة ثانياً، وفي الوقت ذاته يتحمل الجميع تبعات التقاعس عن تحملها، أو التفريط فيها، أو الإخلال بها، وما أعظم خسارة مجتمع، وأمة لم تعرف لعلمائها فضلهم، وقدرهم، ولم تبوئهم منزلتهم اللائقة بهم.

الخــــاتمة



تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

الخاتمة

أخيرا فإننا بأمس الحاجة إلى التنويع في الخطاب، وطرح هذا الموضوع، بل هذه الموضوعات من جوانب عدة، وعلى لجان التوعية في وزارة الشؤون الإسلامية، ووزارة التربية والتعليم أن تدرك هذه الحقيقة، وأن الطرح الرتيب وحده لا يكفي، فلابد من التجديد في المحاضرات، والندوات، والمناشط، وفتح المجال للتجديد فيها بما لا يخرج عن قواعد الشرع المطهر.

إننا بأمس الحاجة إلى محاضرات، ودورات للآباء وأولياء الأمور، والمعلمين والمعلمات، في كيفية إكساب الطلاب مهارات التفكير السليم، وضوابطه، لتكون هذه المهارات معينة للشاب يوم يفكر في الإقدام على عمل، أو اعتناق أي فكر، في الحكم على ذلك العمل أو الفكر بما هو الصواب، دورات تؤكد أهمية التأصيل الشرعي، والمنهجية العلمية في اتخاذ المواقف، وتعميق الاهتمام بالنظر في مآلات الأفعال، وضرورة العناية بمقاصد الشريعة وكلياتها، والموازنة بين المصالح والمفاسد، بل وتكون هذه المهارات معينة للآباء، والمعلمين أثناء محاورتهم، ومجادلتهم لمن قد يكون عنده شئ من التأثر، أو التهيؤ لقبول أفكار الغلو من الأبناء والتلاميذ.

إننا بحاجة إلى دورات وبرامج ومناشط تحسس أفراد المجتمع بكافة فئاته بعظيم نعمة الله علينا بالأمن، ووسائل حراسته، ليدرك كل فرد واجبه في المحافظة على هذه النعمة، ويقوم بأداء دوره في ذلك بكل قناعة وإيمان.

أسأل الله - عز وجل - أن يصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأن يصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وآخرتنا التي إليها معادنا، وأن يجعل الحياة زيادة لنا من كل خير، والموت راحة لنا من كل شر.

كما أسأله سبحانه أن يوفق ولاة أمرنا للاستقامة على دينه والعمل بشرعه، وأن يأخذ بأيديهم إلى ما فيه صلاح البلاد والعباد، وأن يعزهم بالإسلام، ويعز الإسلام بهم، ويجعلهم رحمة لرعاياهم.

اللهم وفق علماءنا ودعاتنا، لما تحب وترضى، وأعنهم على القيام بواجبهم، وامنحهم التسديد والتوفيق في جميع ما يأتون ويذرون.

اللهم رب جبرائيل وإسرافيل وميكائيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

اللهم أرنا الحق حقا، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا، وارزقنا اجتنابه، ولا تجعلهما ملتبسين علينا فنضل.

اللهم احفظ بلادنا وسائر بلاد المسلمين من كيد الكائدين، وعبث العابثين، وعدوان المعتدين، وردهم على أعقابهم خاسرين.

اللهم مُنَّ على من ضلَّ من أبنائنا سواء السبيل، ورده إلى الحق والهدى والصراط المستقيم، وأعذنا جميعا من مضلات الفتن، ما ظهر منها وما بطن، إنك سميع مجيب.

اللهم اكشف الغمة ، وارفع الظلمة عن بلادنا وسائر بلاد المسلمين ، وأخرجنا من هذه الفتن ونحن أشد تمسكا بعقيدتنا ، وشريعة نبينا ، إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين...


تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

فهرس الموضوعات